أنبياء الله

عليهم الصلاة والسلام

للناشئة



2


أنبياء الله
للناشئة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤م

رقم الإيداع بدار الكتب

١١٢٢٠/ ٢٠٠٤

دار الإبداع

٤ ش الإسقفية ـ المنشية ـ الإسكندرية

تليفاكس: ٠٣/٤٨٧٩٠٦٥

أنبياء الله

للناشئة

إعداد
مُحَمْدَ عَلِى قُطب

دار الإبداع
الإسكندرية

﴿وَكُــلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَــا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَــاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَــقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠)﴾ [هود]

صدق الله العظيم

(أبو البشر) آدَمْ. عليه السلام.

شاءَتْ إرادة الله ـ تعالى ـ أن يَجْعَـل فى الأرض خـليفة، يُعمِّرها ويستثمرها، فقبض ـ سبحانَهُ ـ قَبْضةً مِنْ تُرابها، من مختلف أَلْوانه وأشكاله وأَنْواعه، ثَم جبلها بالماء حتى صارت طيناً، ثمَّ تركها حتى جَفَّت وصارت صَلْصالاً كالفَخّار، ثمَّ نفخ فيها من روحه.. فدبَتْ فيها الحياةُ..!

ثُمَّ خَلَق منها زَوْجها « حـوّاء» لِتكـونَ له زوجاً ورفيقاً وأنيساً. وعلَّم الله ـ تعالى ـ « آدم » أَسْماءَ الأَشياء التِي يستخدمها، وتستلْزم معيشَته.

كَما أَمرَ الملائكة أن يَسْجـدوا تعظيماً واحْتراماً لهذا الخلق، فَسَجَـدوا إلا « إبليس » أبي واستَكْبَر؛ وكان من الجنِّ ففسق عن أَمْر ربِّه؛ ومن هنا كانت العداوة بيْن « آدم» وذريَتَه، وبين الشَّيْطان..!

وأَسْكن الله ـ تعالى ـ « آدَمَ» و « حوّاء» جَنَّةَ عَدْن، يأكْلان من خيراتها وينْعمانِ بظلالها، ويَشْربانِ منْ عذْب مياهها، كما نَهاهُما أن يَقْربا شَجَرةً مُعيَّنةً ﴿ ولا تقْرَبَا هَذهِ الشَّجَرَةَ﴾ [الأعراف:١٩]!اختباراً لهما بيْن الطاعة والمعصية.

فأغواهما الشيطان«إبليس» وَزَيَّن لهما بأنَّ هذه الشجرة هي شجرة الخُلْد، وأَنْهما إذا أَكَلا منها أصبحـا ملكيْن، وأَقْسم لهما أَنَّه إنما يَنْصَحُهما، فَنَسى « آدَمُ » و«حواءُ » وأَكَلا، وبَدَت لهمُا سوأْتهما«أى عوراتهما»، فأخذا يقطعان من ورق أشجار الجَنَة ليَسْتُرا عوراتهما.

فعاتبهما ربُّهما عتاباً شديداً، ثم أَمرَهُما بِالخروج من الجَنَّةَ قصاصاً

وعقاباً . . !

● وخرج معهما الشيْطان «إبليس» . . !

● خرجوا جميعاً للمكابَدَة والشَّقاء.

واستشْعر« آدم »بالنَّدَم الشَّديد وأناب إلى الله- تعالى - مُسْتَشْفِعاً مُسْتَغْفِراً، فتاب الله عَلَيْه واصْطفاهُ ليكُونَ - من بعد نبيا -﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[البقرة: ٣٧].

نبيًا في ذُرِّيَّته، وذرية ذريته. . . ، ﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾[طه: ١٢٢] وَأَوْحى إِليْه بأَسْباب الهداية والاسْتقامة، وأَنْذَرَهُ ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤].

سارَ « آدم » - عليه السَّلام - فِي أَهْلِهِ حسْب أوامر الله تعالى ونواهيه، وهُوَ يذكر ما كان فيه من النعيم فِي الجنَّة، وما يُقاسيه الآنَ من كد ونَصب.

وكان من أَمْر الله - تعالى - فِي التناسل والتكاثر أن حَملَتْ «حواء» ثُمَّ وَلدتْ تَوْأماً، ذكراً وأُنْثى، فَفرِح بهما أبواهُما، ثُمَّ حَمَلْت حملاً آخر، فوضعت تَوْأماً أَيْضاً ذكراً وأُنثى . . !

وَشبَّ الأولاد وكبروا، وكان اسْم الذكر الأوَّلَ «قابيل» واسْم الذكر الثاني « **هابيل** »، وكان لكلٍ منهما نشاطهُ وَسَعَيُهُ فِي الحياة، فأما «**قابيل** » فكانَ فلاحاً زراعاً، وأما «هابيل» فكانَ يأْلفُ الماشية وَيرْعاها.

ولقد كانت تَوْأم « **قابيل** » تميل إلى« **هابيل** »بعد أن نَضَجت أُنُوثَةً، وكان

هو يميل إِلَيْها. . ، فكان « **قابيل** » يغضب ويثور. . !

وأرادَ « آدَمُ» ـ عليه السلام ـ أنْ يُغَايَرَ بيْن الإِخْوة، لتَنْويع النَسْل، بتقدير من الله ـ تعالى ـ وتدبير منه ـ سُبْحانه ـ فأَمَر ابنيْه أن يقدِّما قرباناً إلى الله ـ تعالى ـ، فمن قُبل قُرْبانُهُ فازَ بالجائزة.

فقدم« **قابيل** » نتاجاً فى زَرْعه، وقدَّم« **هابيل** » حَمْلاً من حمْلانه، فأكلت الطير والسِّباعُ قُرْبان «**هابيل** »، وَذَبُلَ قُربانُ « **قابيل** »واصْفَرَّ. . وَهَشَّ. ! ﴿ **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾[المائدة: ٢٧].

وَأَضَمَرَ «**قابيل**» فِي نَفْسه الانْتقام من أَخيه «**هابيل**» بوسْوسَةِ من الشيْطان (إبليس)، الَّذي نَذر أن لا يَتْرك «بَنى آدم» يَنْعَمُونَ بالخيرْ والحقِّ، والهُدى فِي الحياة على صراط مُستقيم. . !

فانْفَردَ به يَوْماً. . . وقتله. . . ! ثم ندِم على مَا فَعَل، ولكن لات ساعة مَنْدم. . . !

فكان دَمُ «**هابيل**» أَوْل دَمٍ فِى الأرض سُفحَ على مَذْبَح الهوى والشَّهْوة، ومن ثَم تتابعته الشرور والآثام، فما من دمٍ يُسْفَكُ ظُلْماً إلا كان على «ابن آدم» «**قابيل**» نصيب مِنْه.

وتتابعته ذريَّة « آدم» ـ عليه السلام ـ وَتَكاثَرُوا. . . !

وعاش « آدم»ـ عليه السلام ـ سنين عدداً، حتى قيل: إنها تجاوزت تسْعة قُرونٍ، ولا عَجَب، فإنَّ الأوائل من «بنى آدم» كانت أعمارهم مديدة، كما شاء الله تعالى لها أن تكون. . !

حتى إن « آدم » ـ عليه السلام ـ رأى آلافاً مؤلفَةً من أحفادِه وأَحْفادِهم أيضاً . . !فكان يَرْعاهُم ويسوسُهُم، ويهديهم ويُوجِّهُهم بما عهِد الله ـ تعالى ـ إلَيْه من أوليات المنهج الحقِّ والسبيل السَّويِّ، دُونَ انْحرافٍ أَوْ ضلالة.

حتَّى أَدْركَتْه الوفاة، وحانَ حَيْنُهُ. . . !

وقيل: إن وفاتَهَ ـ عليه السلام ـ كانت يوم «جُمْعة»، وقد جاءَتِ الملائكة بحنُوطٍ وكَفنٍ. . . ليُعلِّمُوا أبناءه ـ وأحفادَهُ وذريتَهُ ـ كيْف يكون إكرام الميت ودَفْنه، ومواراته الثرى؛ الأرض التي خُلِقَ من طينتها. . ﴿ **مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ** ﴾ [طه: ٥٥].

●●●●●

● « شيث » عليه السلام:

ومعنى كلمةُ « **شيث** »: هبةُ الله. . !

وكان ابْناً لـ « **آدم** » وهو الذي سمّاهُ بهذا الاسْم، بَعْد أن فَقَد «**هابيل**» وذلك حمْداً لله وَشُكْراً على هذا العِوض الكريم.

وكان « **شيثُ** » مؤهَّلاً لحمْل الأمانةَ وَأَدائها، وقد وصَّاهُ أبوهُ « **آدم** » وهو على فراش الموْت، وعهد إليه، وعلَّمه ساعات اللَيْل والنهار، وعلَّمه عبادات تلك الساعات. . ! وأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويطيع أَمْر الله ـ تعالى ـ في خَلْقِه.

وكما أَوْحى الله ـ تعالى ـ إلى « **آدم** » ـ عَلَيْه السلام ـ بعد أن اجتباهُ واصطفاه، وأَنْزل عليه صُحُفاً. . ، توْجيهات وأَوامر وَنواهٍ. . . !

أنزل الله عز وجل أيْضاً على « شيث » ـ عليه السَّلام ـ خمْسين صحيفة، لتحديد الحقوق والواجبات، كي لا يطغى أحد على أحدٍ، ظلْماً وبغْياً بغيْر الحقِّ، وابتعاداً عن زلَّةِ الشيطان، وغروره.

وأَدَّى « شيثٌ » ـ علِيه السلام ـ واجبه وسار فِي الناس سيرةً طيبةً حَسَنة.

وتتابعَ من بعد وفاة « شيث » ـ عليه السلام ـ أَبْناؤُهُ فِي رِعايةِ هذا المنهج الرَّبانِي، وأدُّوا حَقَّه؛ بوصيةٍ مِنْه.

●●●●●

«إدريس» عليه السلام

قال الله - تعالى - : ﴿ واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا (٥٦) ورفعناه مكانا عليا ﴾ [مريم:٥٦، ٥٧].

فكان - عليه السلام - أول «بنى آدم» من ذريته أعطى النبوة، بعد « آدم » و« شيث » - عليهما السلام -.

أدرك « إدريس » عليه السلام من حياة جده «آدم» ثلاثمائة وثماني سنين، وهو أول إنسان خط بالقلم.

وكان يعرف عليه السلام بشدة علمه وواسع معرفته، وصواب أحكامه، وصدقه في أقواله .

فلما شب وكبر ونضج، آتاه الله - تعالى - النبوة، وفتح عينيه وبصيرته على سلوك الناس، فرأى مخالفة بعضهم لأمر الله، وبما تركه فيهم « آدم » و«شيث» من قبل، فآلمه ذلك وآذاه، ونفر عنهم..، وأراد الخروج من بينهم، فدعا من أطاعه إلى مرافقته والهجرة معه، فاستجاب له الأقلون، وأعرض عنه الأكثرون... منكرين عليه مغادرة الأرض الخصبة والماء الجاري (دجلة والفرات)، فقال لهم: لئن خرجنا لتجدن خيراً من ذلك.

وسار بهم حتى وافوا إقليم « مصر »، حيث مجرى النيل العظيم، وعرفوه بـ «بابليون - أي نهر أكبر مما تركنا .

ورأوا الوادي خالياً من السكان، فنزلوا وأقاموا، ووقف « إدريس » - عليه السلام - يسبح الله - تعالى - ويقدسه على ما رزقه هو ومن معه.

وأقَام « إدْريس » ومن معه بـ « مصر » يدعو الخلائق إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وطاعة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ !

وتفتقت الحِكْمة من قلبه على لسانِهِ، فرسم لمن معه تمدين المـدُن، وعلم طالبي العلم السياسة الحديثة، وهو أول من علمه الله غزل الصوف ولبس الملابس بعد أن كانوا يسترون عوراتهم بجلود الحيوانات. . !

وكان ينظر فى السَّماءِ ونجومها وأبراجها وأَفْلاكها، فوهبه الله ـ تعالى ـ علم الحساب وعدد السنين والأيام، ووزع الأَقوام فِي البِقاع، وكان لكل منها لغته وأُسْلوبه فِي الحياة؛ فنظم لهم، وعيَّن لهُم مُلُوكاً يُديرون شؤونهم.

وتلك ـ لعمْري ـ أوَّل الحضارات على وجْه الأرض، بفضْلٍ من الله ونعمة على عبده ونبيه « إدريس » ـ عليه السلام ـ.

ومما يُقال أيضاً: أنه « عليه السلام » قد أَلْزم الناس بالتوحيد، وعبادة الخالق ـ سبحانه ـ وتخليص النُفُوس من العذاب فِي الآخرة بالعمل الصالح فِي الدُّنيا، كما حضَّ على الزُهْد فِي متاع الدُّنيا، والعمل بالعدْل.

كما أمرهم بصلواتٍ ذكرها لهم على صفاتٍ بيَّنها، وأمرهم بصيام أيام معروفة من كل شهرٍ، وحثَّهم على الجهاد لأعْداء دينهم، وأمرهم بزكاةِ الأمْوال معونةً للضعفاء. . ، وعلمهم الطهارة من الجنابة، وحرَّم السُّكر من كل شيْء من المشروبات، وشدَّد فيهِ أعظم تشديد، وجعل لهم أعياداً فِي أوقاتٍ معْروفة.

ولعلَّ كلَّ ذلك مما أُنْزل عليه من الصُّحُف ونُبِّئ بِهِ من الوحْي .

نـــوح - عليه السلام -

قال الله تعالى:

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١) قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢) أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (٣) يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [نوح: ١ - ٤].

ظهرت فِي قَوْم «نوح» - عليه السلام - أوَّل عبادة لِلأَصنام والأَوْثان!! وسبب ذلك أنه كان فيهم رجالٌ صالِحُون، على درجةٍ عاليةٍ من التَقْوى والعبادة، وكانوا قُدْوةً حسَنَة.

فلما اخْتَارهم الله - تعالى - إلى جـــوارِه حَـــزِنَ عليهم قَوم نوحٍ «حُزْناً بالغاً».

فوسْوسَ لهم الشيطان «إبْليس» أن يَجعلُوا لَهُم نُصُباً وتماثيل، لِيَذْكروهم ولا يَنْسُوهم، ففعلُوا، وتَطورَّ أَمَر الذِّكْرى إلى العبادة والتَقْديس، فكانوا يُقيمون لَهُم المواسم ويقدمون لهم النذور، ويحرقون عند أقدامهم البخور.. ثم اتخذوهم آلهةً لَهُم.

وسمُّوهم بأسماء: «ودّ» و «سُواع» و «يَغُوث» و «يعوق» و «نَسْر».

فأرْسَلَ الله - تعالى - لِهؤلاء الضّالين رجلاً مِنْهُم يحذِّرُهم ويُنْذرهم، ويدعوهم إلى عبادة الله وحده وترْك عبادة الأَصْنام، ويستغفروا ربَّهم مما هُم فيه من الجهالة والكُفْر، ويُرْشدهم إلى الحق، وكان ذلك الرَّجُل هو نبيُّ الله «نوحاً - عليه السلام -».

كان يقول لهم: ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا (١٢) مَّا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤) أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦) وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٨) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجًا ﴾ [نوح:١٠ ـ ٢٠].

فلم يأبَهُوا لدعائه ونداله، ونفروا عَنْه، وسخروا منه، وهزئوا به، وقالوا له: ﴿ أَجِئْتَنا لتأفكنا عن آلهتنا ﴾ !!!، كما عجبوا أن جاءهم نذير مِنْهُم، وقالُوا: ﴿ ما نراكَ إلاّ بَشَراً مثلنا ﴾..

ولقد آمن بـ « نوحٍ » ـ عليه السلام ـ نفر قليل من الضُّعفاء والمحرومين، ممن يزدريهم قومهم ويحتقرونهم.

لكن « نوحاً » ـ عليه السلام ـ لم ييأس من دَعوتهم وهدايتهم، فكانَ لا يكف عن جدالهم ومحاورتهم لعلَّهم يَهْتدون..!

فكانوا يصمُّون آذانهم، ويُغَطُّون أَبْصارهم، لِيْصرفوها عن رؤيته وسماعه، وفي هذا يقول « نوح » ـ عليه السلام: ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾.

ولبث « نُوحٌ » ـ عليه السَّلام ـ ينذرهم ويُحذِّرهم عذابَ الله ـ تعالى ـ على مدى أَلْفِ سنة إلاّ خمسين عاماً..!

وأراكَ ـ عزيزي القارئ ـ تتعجب لهذه المدة..!

فلا تعْجب...، فَإِنَ سبيل الكُفْر وأَعْوانَهُ، وَنَفْخَةُ الشيْطان فيهم لا تزال

قائمةً إلى يَوْمنا هذا. . !

وأخيراً . . ، فإن« نُوحاً » ـ عليه السلام ـ توجَّه إلى الله ـ تعالى ـ بالدُّعاء، بعد أَنْ رأي قَوْمه يزدادُون ضلالةً وبُعْداً، ويقولون له: ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾[هود: ٣٢].

قال « نوحُ » ـ عليه السلام ـ : ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾.

فاستجاب لُه ربُّه ـ سبُحانه وتَعالى ـ وأَمَره بِصُنْعِ سَفينة تكُونُ له ولِمَن اتَبَعَهُ سبيل نجاةِ من الغرق، من الطُّوفان الذيِ سَيعُم الأرض كلها. . ، ويَقْضِي علي الأَحْياء، ويقطع دابر الكافرين.

وأن يَحْشُر فِي السَّفينة من كل زوجَيْن اثْنيْن من الحيوان والطَيْر. . !

وكانت أمارة وعلامة بدْء الطوفان فَورانُ تَنُور أهْلِه (مخبزهم) بالماء.

وأكبَّ « نوحُ » على العمل بِجدٍ ونَشاط، بقطع الأَشجار، وبنشرها ألْواحاً، ثم يجمعها، وكان نجَّاراً ماهراً.

أما قومه الكافرون فكانوا كُلَّما مرُّوا به وهو يَعْمل سَخروا منْه ﴿ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾[هود:٣٨، ٣٩].

وَجَاء أَمْرُ الله ـ تعالى ـ وهَطلت الأمطار غزيرةً أياماً وليالي دُون انْقطاع، ـتِ الأرض عيوناً وتدفقت. . ، وفَارَ التنورُ وصعد فى السنينة مع نوح عليه السلام كل من آمن من قومه وكان عددهم ثمانين إنساناً وارْتفعت السَّفينة بِمنْ فيها، من الناس والحيوانات والوحوش والطيور تتقاذفها الأَمْواج

العاتية ورأي « **نوح** » ـ عليه السلام ـ ولداً له، آثر أَنْ يكون بِمَعْزِلٍ عن أبيه، فناداهُ حناناً وشفقة: ﴿ **يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ** ﴾ [هود: ٤٢، ٤٣].

وكذلك زوْجَةُ « **نوح** » ـ عليه السلام ـ فقد كانَتْ في الغابرين الذين حق عليهم القوْل، كانت تلوذ بقوْمها وتُؤيِّدهم، وتسْخر من زوجها وما يدعو إليه، وتَنْقُل أخبارَهُ إلى قَوْمها خيانةً منها. . ! ومن ثم كانت من المغرقين.

وَمَضْت مدة ـ الله أَعْلم بها ـ فتوقف المُطَر عن الْهُطول، واستقرَّ أَديمُ البْحر عن تلاطُم أمواجِه، بأمْر الله ـ تعالى ـ وقد قُضِي الأمْر.

﴿ **وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ [هود:٤٤].

و«**الجودى**»جبل في سلسلة جبال«**أرارات**»في آسيا الصغرى(**الأناضول**).

ونزل « **نوح** » والذين آمَنُوا مَعُه مِنَ السَّفينة، وكذلك فُتِحَتْ الأبواب للحيوانات المشْحونة فَخَرجوا. . !

وبدأت دَوْرة جديدة للحياة على وَجْه الأَرْض، عُرِفَتْ بـ(**البشريَة الثانية**)، أما الأولى فقـد كانَتْ على عَهْد « **آدم** » و« **شيث** » و «**إدريس** » ـ عليهم السلام ـ إلى أن كان «**الطُوفان**».

وبدأ التناسل والتكاثُر، وتنوع المسعى.

●●●●●

هـــود ـ عليه السلام ـ

هُوَ في نُسْل « سامِ بن نوح » . . .

جدُّه الأكْبر هُو «إِرَمُ بن سام»، الذي جاءَ ذكْرُهُ في القرآن الكريم ﴿ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾[الفجر:٧].

هَاجَر « إِرَم » بعد أن كثُرت ذرِّيتُه ونَسْلُهُ وحطَّ رحَالَهُ فِي «الأحقاف» مع أَهْلِهِ وعشيرتِهِ . . !

و «الأحقاف» تقع شمال «حضرموْت»، وفي شَرْقها «عُمان»، وإلي جانبها الربْع الخالى، وهي ـ اليوم ـ أرض رملية ليس بها أَنيس ولا عُمران.

ولقد كانَتْ في أَيام «عاد» حفيد «إِرَم» ذات عمران وحضارةٍ، لم يشهد تاريخ الحضارات مثيلاً لها وازْدهاراً. . . !

قصور فارِهة، ذات أعْمدةٍ ضخْمة عالية، وثَرْوةٍ وغنيً. . . ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ ﴾[الفجر:٧، ٨].

هؤلاء القوْم الذين أُتْرفوا، نَسُوا حَظًا مما ذُكِّروا به، وغَفَلت أَبْصارُهُم وبصائرهم عن فتْنة الطُّوفان، وغَرَّتْهُم قُوَّتُهُم وأَجسامُهُم الفارهة وسواعدهم القوية. . . واسْتكْبروا في الأرض بِغْير الحق وقالُوا: مَنْ أشد مِنَا قَوَّة. . . ؟!

وعكفوا على آلهةٍ صَمَّاء نحتوها بِأَيْديهم، وتماثيل أقامُوها لِعبادتهِم، فكان لابَد من تَذْكِيرهم، وإيقاظهم من غَفْلتهم، واستنقاذهم من الشَّيْطانِ الذي لعب بعقولهم ونُفُوسهم.

فاختار الله ـ تعالى ـ لهُم نبيا مِنْهُم هو «هود» ـ عليه السلام ـ وكان رزيناً عاملاً هادئاً، وناصحاً أميناً، قد نفر عمَّا هُم فيه من الضلالَة والغُرور﴿ وَإِلَىٰ

عادٍ أَخاهُمْ هُوداً قَالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّه ما لَكُم مِّنْ إِلهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُون ﴾ [الأعراف: ٦٥].

- فماذا كان ردُّ قَوْمِهِ عليه؟
- اعتبروه سفيها!!! وكاذباً!!

﴿ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾.

وَذَكَّرهم بأنَهم خُلفاءَ من بَعْد قَوْم «نُوح»، وأن الله ـ تعالى ـ قد زادهم في الخَلْق بسْطةً، وأَنْعَمَ عَلَيهم إنْعاماً كبيراً وكثيراً، لم يُنعم بِهِ على أحدٍ من قَبْلهم، فاتَقُوا الله الذي إليه تحشرون.

فما زادهم ذلك إلا استخفافاً به وبدَعْوته، وعَجبُوا أن جاءُهم مُنْذرٌ منهم، ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾.

وتنادوا بَيْنهم: ﴿ مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٣٣) وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَراً مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَّخَاسِرُونَ (٣٤) أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ (٣٥) هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (٣٦) إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٣٧) إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِباً وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [المؤمنون ٣٣ ـ ٣٧].

إزاء هذا الجحود والنُكْران، دعا «هُود» ـ عليه السلام ـ رَبَّهُ فقال: ﴿ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴾.

- فاستجاب لَهُ ونَصرَه... وأيده..!

كانَتْ ديارهُم خَضْراء يانعة، ذات زروع ومقام كريم، تتنزل عليها رحمة السماء بماء مُنْهمرٍ، فتسقى الزرْع والضَرْع، وتَزْدَهِر بالعطاء الوفير، حبوباً

وثماراً، وكل ما تشتهيه الأنفس وتلذُّ الأَعْين.

فإذا بها بيْن عشية وضُحاها حَفْراء نفراء قَفْراء..! إنه العذابُ الذي أُنْذروا بِهِ، كيْف؟

- انْقَطَع نزول الْمَطرِ،
- وجَفَتَ الأرض وتَشَقَّقَت،
- فَجأَرُوا بالدُّعاء إِلى آلهتهم ونُصُبهم وأَوْثانهم، لا إِلى الله ـ تعالى ـ الخالق الرازق.
- ثم رأوا سحاباً متراكماً متراكِباً، تَسُوقه الرِّيح باتِّجاهِهِم، فَظنوه لجهلهم وغُرورهم بُشرى خَيْر ورَحْمة فـ﴿ قَالُوا هذا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾[الأحقاف:٢٤]..!
- ولم يكُنْ ذلك إلا نذير عذاب وإهْلاك.!

﴿ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤) تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لا يُرَىٰ إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٤، ٢٥].

استمرَّتْ الريح المدمرةُ العقيم مسخرة عَلَيْهم سَبْع ليالٍ وثمانية أيام حُسوما، دائمة تَضْرب وتَقْطع وتَقلع، وتحرق وتدمر فلم تدع من الجبابرة الطغاة والكافرين أحداً إلا أهلكته.!

﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦ ـ ٨].

ونَجى الله ـ تعالى ـ « هوداً » والذين آمنوا مَعَهُ مِنَ العذابْ الأَليم..!

صالح ـ عليه السلام ـ

هو من قبيلة « ثمود» أبناء عمومة لـ« عادٍ » قوم « هُود ». . !

نَزَحُوا مِثْلهم من غَرْب «الفرات» وحطّوا رحالَهُم فِي «الحجر» بيْن الحجاز والشام، عند (وادي القرى) ـ ويُعْرفُ اليوْم بـ «فجِّ الناقة».

كانت بهم قُوَّة. . . فَنَحَتُوا الصُّخُور واتخذوها مساكنَ لَهُم، قُصُوراً ودُوراً، كما قَطَعُوا الأحجار الضَّخْمة وابْتَنوا بها مُدُنهم، وبُيُوتَهُم وغير ذلك.

وكانوا وثنيين يَعَبْدون الأَصْنام، ويشركونها مع الله ـ تعالى ـ وقد عكفوا على ذلك زَمَناً . !

إلى أن اختار الله ـ تعالى ـ من بَيْنهم رجُلاً يعظهم ويَهْديهم، ويدعوهم إلى الحقِّ وإلى صراطٍ مُسْتقيم.

دعاهم إلى عبادة الله وَحْدَهُ، الذي خَلَقهم ورَزَقهم وأَنْعَمَ عَلَيهم، واجْتهد في ذَلك اجتهاداً عظيماً، ولكنَّهم كانوا يكذّبونَهُ ويتبعُونَ رؤساءهم وسادَتُهم، الذين أضلوهم بغيْر علم، واتهموه بأَنَّه من المسحرين.

﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٣) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٤٤) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٤٥) أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (١٤٦) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٤٧) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (١٤٨) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (١٤٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٥٠) وَلا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ (١٥٢) قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾[الشعراء: ١٤٢ ـ ١٥٣].

● وأَعْرضوا عَنْه، وَاتَهمُوه. . إلا قليلاً مِنْهم. . !

ثُمَّ إنَهم قَالُوا له: ﴿مَا أنتَ إلاَّ بَشرٌ مِّثْلُنَا فأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنت مِنَ الصَّادقِين﴾ [الشعراء: ١٥٤].

فأيَّدَه الله ـ تعالى ـ بِمعْجِزَةِ النَّاقة، انْشَقَتْ عنها صَخْرة عظيمة، فخرجَتْ يتبعها فصيلُها فكانت معجزة عظيمة.

● ورأوا ذلك بأُم أَعينهم، ولكنهم أَصروا واسْتكبروا..!

وقال لهم « صالحُ » ـ عليه السلام: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ [هود: ٦٤].

وقال لهم أَيْضاً: ﴿لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (١٥٥) وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥، ١٥٦].

وعاشتْ الناقة بَيْن أَظْهرهم مُدَّة، ترعى وتشرب، وتدرُّ عليْهم اللَّبن، وَمَع ذلك لم يؤْمِنُوا بـ « صالح » وما يَدْعُو إِلَيْه.

وأراد بَعْض أَشْرافِهم مِمَّن أُعْجبُوا بالناقَةِ أَنْ يميلوا إلى التصديق بـ« صالحٍ » وأتْباعه، فَمَنَعُهم طُغَاتُهم من ذلك.

وكانت الناقة تُصيِّفُ إذا جاء الحر بظْهر الوادي، فتهرب مواشِي القوْم إلى بطن الوادي في حَرِّه وجدْبِه، وَتَشْتُو في بطن الوادي فتهرب مواشيهم إلى ظهره في برْد وجدْب..! وكانت من معجزاتها أنها تدر لبنا يكفى ليشرب منه الناس جميعاً.

● فكبرُ ذلك عليهم، فعتوا عن أمر ربهم واستكبروا وعاندوا، وأَجْمَعُوا على عقْر الناقة وقتلها.

وكانت امْرأتان مِن «ثمود» ذواتي إِبِل، يُقال لإحْداهما: «صَدُوق» عرضت نفسها على رجُل يقال له: «مصدْع» إن قتل الناقة، فوافق وأجاب، واسم

الأخرى«عنَيْزة»لها بناتٌ حسان عرضت إحدى بناتها على«قدار بن سالف»، فأجاب أيْضاً.

وانضم إليْهما سبْعة رجالٍ، فكانوا تسعة..

وهؤلاء هم الذين عناهم الله ـ تعالى ـ بقوله: ﴿ **وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ** ﴾ [النمل: ٤٨].

فأما «مصدْع» فرمي الناقة بالسَّهْم، وأما «قدار» فأنْحى إليها بِسيْفِه فَكَشَط عرقوبها، ثم نحرها، وذهب السَّبْعة ـ الباقون ـ وراء شعبها (فصيلها) ففر منهم إلى الجبل.

وأنذرهم « **صالح** » ـ عليه السلام ـ بأن العذاب سيحل بهم بعد **ثلاثة أيام** لما انتهكُوا من حُرْمة الله، فكانوا يهزءون منه ويسخرون مما أوْعدهم به من الْعذاب!

وأنذرهم أنهم سيصبحون في اليوم الأول وجوههم مصفرة، وفي اليوم الثاني تصبح محمرةً، وفي اليوم الثالث تتحول مَسْودَّة، ثمَّ يأْتيهم العذاب.

أما الذَّين عقروا الناقة فقد اتْفَقُوا على أن يقتلوا صالح، ويتخلصوا مِنْه.

وصدق فيهم الله وَعْدَهُ قبل أن يُنفِّذُوا وعيدهم..

اعْتَزَلَهم « **صالح** » والذين آمَنُوا معه فِي جَبَلٍ، وتوالت الأيام الثلاثةُ والقوم فِي فزع ورُعبٍ، وقد تَلونَّتْ وُجُوهُهم كما قيل؛ وفِي اليوم الثالث حلَ بهم عذاب الله ـ تعالى ـ بالرَّجْفة.. والطاغية.. والصيحة..! وأُخذوا عن بِكْرة أبيهم. ﴿ **كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (١١) إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤) وَلا يَخَافُ عُقْبَاهَا** ﴾ [الشمس: ١١ ـ ١٥].

إبراهيم ـ عليه السلام ـ

مُنْذُ اليناعَةِ والصِّبا تَفتح قَلْب «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ على الحقيقة، يتأمَّل الْكَوْنَ بعقْلِه ورُوحِه وكُلِّ جَوارِحِه.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [الأنبياء:٥١ـ٥٦].

حين جَنَّ عليه اللَّيْل ورأي القمر بازغاً قال: هذا رَبِي، فلما أفل وغاب قال: لا أُحبُّ الآفلين...! ثم رأى الشمس وقد عمَّت بنورها قال: هذا ربى، هذا أَكْبر، فلما أَفَلَتْ وغابَتْ تَوجَه إلى قَوْمه الغارقين فِي عبادَةِ النار والشَّمس فقال: يا قَوْم إني بريء مما تَشْركون. إِنِّي وجَّهْتُ وجْهِي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً، وما أنا من المشركين، ولقد هداهُ الله ـ تعالى ـ إلى الحق وإلى الصراط المستقيم ﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ [الأنبياء:٥١].

ومن هذه اللَّحظة بَدَأَ «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ مَعْركَتَهُ مع القوْم الضالِّين، وقال: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم﴾ [الأنبياء:٥٧].

وَدَخَلَ معْبدهم على حين غَفْلةٍ مِنْهم وبيده فَأْس، فَحَطَّم الأصنام كُلَّها إلا كبيرها، ثم علَّق الفأس بِرَقَبة هذا الكبير، وغادر المكان.

وفوجئوا بما حَدَثْ وارْتاعوا فقالوا: ﴿مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء:٥٩]!

فقيل: ﴿سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم ﴾ [الأنبياء:٦٠].

فجاؤوا يُحاكمونَهُ ويَستنطقونَهُ، فقال لهم: ﴿بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون ﴾ [الأنبياء:٦٣] . . . ، فألزمهم الحُجَّةَ.

لكنَّهم كانوا في طُغْيانهم يَعْمهون، فقالوا: ﴿حرِّقوه وانصروا آلهتكم ﴾ [الأنبياء: ٦٨] حكَمُوا عليه بالحرْق بالنار، وظلوا أربعين يوماً يجمعون حطبًا ويوقدون فى النار ثم جعَلُوهُ في وَسَط أكوام من الْحَطَبِ ثم أوقدوها عَلَيْه، فَتعالى لهبُها وتطاير شَرَرُها وظنَوا أَنَّهم قد تَخلَّصُوا منه..!

لكن الله ـ تعالى ـ القادر القاهر لم يترك نبيه لانتقام الكافرين فحماه وحفظه وعَطَّل خاصيَّة الإحراق ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ ﴾ [الأنبياء: ٦٩، ٧٠].

وَتَحولَّ الحطب الْملتهب إلى رماد، وخَرَج «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ سليماً معافي لم يَمْسَسْهُ سُوء، محْفوفاً بعناية رَبِّ العالمين.

ورغم دهْشتهم مِمّا رأُوا، إلا أَنَّهم أَصَرُّوا واستكْبروا استْكبارا على كُفْرهم وجهلهم.

وأحالُوا «إبراهيم» إلى مَلكُهم «النمرود» ليرى فيه رأيه، وحاجَّهُ «إبراهيم» فقال: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾.

- قال «النمرود»: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ﴾.

ثم أمر النمرود بإثنين من المسجونين... فجئ بهما فقتل أحدهما.. وعفى عن الآخر.. ثم قال: ها أنذا أحيى وأميت

- فتبسَّم «إبراهيم» لسذاجة الملك، ثم قال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ

الْمَشْرِق فأْت بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة:٢٥٨].

● خَرِس لسانُهُ فما نطق، وَتَحيرَ فلم يجد جواباً!!!

وَحَيْث لم يُفْلح «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ فِي هداية قَوْمه غادرهم، وقد تهدّدوه..! لم يفلح أيضاً في هداية أبيه «آزر»: ﴿ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ٤٣] وكان رد أبيه فيه عناد وتهديد ووعيد: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٦] ثم قال إبراهيم لأبيه: ﴿ قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤٧، ٤٨].

وخَرَج من بَيْن ظَهْرانيهم ومعه زوجته «سارَّة» ابنة عمِّه، و«لُوط» ـ عليه السلام ـ ابن أَخيه.

وطوَّحَتْ به الديار والبُلْدان حتى استقر في «فلسطين»، في «شكيم» ـ نابْلس ـ ولكنه لم يطل بِهِ المقام، فانْتَقَلَ إلى جنوب البلادِ.

وَحَدَث جَدْبٌ وقحط، فانتقل إلى «مصْر»، وكانت في يد «الهكْسوس» ـ المُلوك الرُّعاة؛ وأراد ملكهم أَنْ يَغْتصب «سارَة»، فَمُنِعتْ منْه، أكثر من مَرَّة، مَنَعها وَحَفظها الله ـ تعالى ـ .

ثُمَّ إِنَّه أَكْرم «إبراهيم» ورزقه مالاً وماشيةً وعبيداً..!

وعاد «إبراهيم» إلى «فلسطين» وَسكَن «حبرون» ـ الخليل ـ، وسادَ فِي النَاس في أَهْلها.

واستَأْذَنَهُ ابن أخيه «**لوط**» في الذَّهاب إلى «**سادوم**» و«**عامورة**» في وادي الأردُن، فَأَذن لَهُ، وزوده بما يلْزم.

وكانتْ «**سارَّة**» عاقراً لاتلد، وهي مشتاقة إلى الولد، وكذلك «**إبراهيم**» ـ عليه السلام ـ فطلبت منه أن يتزوج بـ «**هاجَر**» القبطية ـ التى أُهديَتْ له من مِصر، فَفَعَل، فحملت وولدت غلاماً سمَّاهُ أَبُوهُ «**إسْماعيل**».

وبأمر من الله عز وجل توجه «**إبراهيم**» عليه السلام ومعه زوجته هاجر وابنهما اسماعيل إلى وادِي «بكة» فِي برية «فاران» ـ الحِجاز، وتركهما عِنْدَهُ ومعهما سقاء ماءٍ وجرابُ تَمْر..،

- فقالت له «هاجر»: آلله أمرك بهذا؟
- قال: نعم.
- فقالت هاجر: إن الذي أمَرَكَ لا يُضيِّعُنا.

ولَمَّا مَضَي عنهما وقف عند رَبْوةٍ ودعا: **﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾** [إبراهيم: ٣٧].

ونتوقَفَ مع «**إسماعيل**» ـ عليه السلام ـ عند هذا الحد، ثم نعودُ إليه ـ إن شاء الله تعالى ـ وهنا ـ **عزيزي القارئ** تتداخُلُ قصَةُ سيِّدنا «**لوطٍ**» ـ عليه السلام ـ مع قَصَةُ «**إبراهيم**» وتتلازما.

●●●●●

لـــــوط عليه السلام

فارق «لوطٌ» ـ عليه السلام ـ عمَّه «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ عن تراضٍ، ونَزَل بأهْله ومواشيه إلى مدينتيْ «سادوم» و«عامورة» عند «الْبَحْر الميِّت» في وادي «غَوْر الأُرْدُنُ».

وكان أهل تلكما المدينتينْ غايةً في سُوءِ الأَخْلاق، لا يخجلون من مُنْكرٍ يَفْعلونَهُ، ولا يَتَعفَفون عن مَعْصيةٍ يأتونها على أعين الناس.

- كانوا يَأْتُون الذُّكْران..!
- ويُنْقِصون الكَيْل والميزان..!
- ويقطعُونَ السُّبُل على المارِّين بهم..!
- ويَتَعرُّون في نواديهم..!

أَضِف إلى ذلك كُفْرهم وشركُهُم بالله ـ تعالى ـ وذلك غايَةُ الفُحْش والجاهليَّة.

نهاهُم «لوطٌ» عليه السَّلام ـ عما يَفْعلون، واشْتَدَّ في نهيهم، واجْتهد في دعْوتهم إلى الحقِّ والخُلُق الْقَويم، وأَنْذَرَهم بعذابٍ من الله تعالى لئن لم يَنْتَهُوا ويَرْتَدعُوا.

قال لهم: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨٠، ٨١].

وقال لهم: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٦٣) وَمَا أَسْأَلُكُمْ

عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٦٢ ـ ١٦٤].

فماذا كان جَواب أهل «سادوم» و «عامورة»؟

قالُوا له: ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴾ [الشعراء: ١٦٧].

كَذبُوهُ فِي رسالَته، وأَصَرُّوا على ما كانوا يَفعلُون، وأَنْذُرُوه بالطَّرْدِ من بَيْنهم، وإخراجِهِ وأَهْله..!

ثم أرادهم الله ـ تعالى ـ بعذابٍ غليظٍ يكونُ عبْرةً للأولين والآخرين، ممَّن كفروا وأشركوا، وحادُوا عن الصراط المستقيم، وأَفْسَدوا فِي الناس..! فأَرَسَل ملائكةً جُنْداً وكانوا ثلاثةً ليذيقُوا الضالِّين أَشَدَّ العذاب.

فمرُّوا أَوْلاً بـ«إبراهيم» ـ عليه السلام ـ فاستضافهم، وكان يُحبُّ قِرى الضَّيْف، فقدَّم إِلَيْهم عِجْلاً شَوْيا، لكن أيديهم لم تَمْتَدَّ إلى الطعام، فأوْجس فِي نَفْسه خيفة منهم، فَسَأَلهم: ما لكم لا تَأْكُلُون؟ فأجابوهُ بأَنَّهم رُسُل الله إِلى قَوْم «لوطٍ» لإيقاع الْعَذاب بِهِم، فخاف «إبراهيم» على ابن أخيه «لوطٍ»، فَأَخبروه بأنه ناج هو ومن آمَنَ مَعَهُ.. إلا امْرأته..! وبَشروهُ بحمل «سارة» «بإِسْحاق» ـ عليه السلام ـ، عندئذٍ ذَهَب عَنْ «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ الرَوْع، واطمأن!

وجاءَ الملائكةَ الثلاثة إلى «سادوم» «وعامورةُ» ودخلُوا على «لوطٍ» فِي منزله على هيئة شبَّانٍ مُرْدٍ حِسَان..!

أما امرأته فكانت على مذْهب قومها في سُوءِ الخُلُق، فَأَتَتهم وأخبرتْهُم خَبَر الغلمان الذين نَزَلوا عند «لوطٍ» وأغْرتهم بهم، فاحْتَشَدُوا على باب «لُوط» يُريدون اقْتحامه، فَوَقَفَ حائِلاً بَيْنهم وبيْن ما يريدون، حتى إِنه ـ

عليه السلام ـ عرض عليهم بناته. . ، فإن ذلك أَطْهر وأَزْكى، فَدَافَعُوهُ ولم يستجيبُوا، فالتفَت إلى الضُّيوف وقال لهم: ﴿ **لوْ أن لي بكُم قوَّة أَوْ آوي إلى ركْن شديد** ﴾ فَطَمأنَتْهُ الملائكةُ، وأَفصحوا عن حقيقتهم: ﴿ **قالُوا يَا لُوطُ إنَّا رُسُلُ رَبّكَ لن يصلُوا إلَيْكَ فَأَسْرِ بأَهْلكَ بِقطْعٍ مّنَ اللَّيْلِ ولا يلْتفتْ منكُمْ أَحدٌ إلاَّ امرأَتَكَ إنَّهُ مُصيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إنَّ موْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ** ﴾[هود: ٨١].

وَخَرَجَ « **لوطٌ** » ـ عليه السلام ـ بأَهْلِه تحْت جَنْح الظَّلام، فلما ابْتَعَدَ قليلاً نزلت الطامة بِـ «سادوم» و «عامورة». . !

تَزَلْزلت.. وارتجفت، وتَطايَرَتْ، فكان عاليها سافلها، وصَحِبَ ذلك دويٌّ شديد. . . وضجة. . ! ثم لحق ذلك مطرٌ غزير، لا يَحْمل ماءً، بل حجـارة من سِجِّيل مُلْتَهبة. . لا تُبْقِي ولا تَذَر.

أمّا امْرأَتَهُ فقد لَوَت بعنقها إلى الوراء لترى مـا حـلَّ بالْقَوْم، فأصابـهـا ما أَصابهـم، وحقت عليها كلمةُ الْعذاب.

﴿ **فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا منَ الْغَابِرِينَ (٥٧) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ** ﴾ [النمل: ٥٧، ٥٨].

●●●●●

إسماعيل ـ عليه السلام ـ

ونَعُود إلى « **إبراهيم** » و« **إسماعيل** »ـ عليهما السلام ـ. . . و«**هاجر**». . !

لقد تركهما «**إبراهيم**» في وادي «**بكة**». . ودعا لهما، وعاد إلى «**حَبْرون**» في فلسطين من حيْثُ أتي.

فعندنا نفد سقاءُ «**هاجرَ**» منَ الماءِ، وبكي الطفل «**إسماعيل**» بُكاء مرًا من العطش، وكانت«**هاجر**»تَسْعي بَيْن ربوتين عاليتيْن هُما«**الصَّفا**» و«**المروة**» لعلَّها تَجدُ مايُغيثها وَوَلَدها. سَبْع مَرات. . على غير جَدْوى، ثم عادَتْ إلى الطَفْل، فإذا الماء يَفُور من تَحْت قَدمَيْه، وإذا «**زَمْزَم**» قَد تَفَجَّرتْ من قدم « **جبريل** » ـ عليه السلام ـ رحمة بالطفْل وأمه، ومن ثَمَّ كانت عيْناً معيناً لا يَنضب. . !

أما «**إبراهيم**» ـ عليه السلام ـ فقد كان يأْتِي إِلْيها بيْن الحين والحين للاطمئنان علَيْهما.

وكان الغلامُ يَشُب شبُوباً سريعاً، قوَياً فتيا. . وأتْقن ركُوب الخيْل، وَبْري السِّهام، والصَّيْد، وتعلَّم اللغة العربية من قبيلة «**جرهم**» التي ساكنَتْهم.

وفي إحدى زيارات «**إبراهيم**» لابْنِه رأى رُؤْيا، تكرَّرت ثلاث ليالٍ .

فقد رأى أنه يَذْبَح ولده. . . وحيدَهُ. . بِكْره «**إسماعيل**»! فَفَزِع لذلك. . ، وارْتاع. !

● ورُؤْيا الأنبياء حق . !

فقال لولده: ﴿ **يا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَٰذَا**

لهو البلاء المبين (١٠٦) وفديناه بذبح عظيم(١٠٧)وتركنا عليه في الآخرين(١٠٨) سلام على إبراهيم(١٠٩) كذلك نجزي المحسنين (١١٠) إنه من عبادنا المؤمنين﴾[الصافات:١٠٢-١١١].

ابتُلي « إبراهيم» فصَدق، وكذلك ابتلى « إسماعيل» فصَدق؛ ومن ثَمَّ كان الفداءُ العظيم، بكبْشٍ أقرن أَمْلح جاء به « جبريل» - عليه السلام.

وفي زيارة أُخرى« إبراهيم» - عليه السلام - إلى وادى «بكة» جاءَه أَمْر الله - تعالى - أَنْ يَرْفَعَ القواعِدِ من البَيْت الحرامْ (الكعْبة - ودُلَّ على مكانها. .)!

وكانت قد بنتها الملائكة مُنْذُ أمدٍ بعيد، لكَنَّ عوامل الطبيعة قد غَطَّتْها بالرِّمالِ والأَتْربة، وَعَفَتْ على آثارها. . !

وهي أول بَيْتٍ وُضع على الأرض ليُعْبدُ فيه الله وَحْدَه، دُونَ شريك. . !
﴿ إنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ للنَّاسِ للَّذي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦].

فَشمَّر « إبراهيم» و « إسماعيل» عن سواعد الجِدِّ وَقاما بِالْحَفْر حتى ظهرت القواعد، وعليها أَقاما البناء «الكعْبة الشريفة» حَرسها الله وزادها شرفاً وكَرَماً.

وكانا - عليهما السلام - وقد فرغا من البناء، يردِّدان ﴿ ربَّنَا تقبلْ منَّا إنَّكَ أنتَ السَّميعُ الْعَليمُ (١٢٧) ربَّنا واجْعَلْنَا مُسْلمَيْنِ لَكَ ومن ذُرِّيَّتنا أُمَّةً مُّسْلمَةً لَّكَ وأَرنا مناسكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إنَّكَ أنت التَّوَّابُ الرَّحيمُ (١٢٨) ربَّنا وابْعثْ فيهمْ رسُولاً مِّنْهُمْ يتْلو عليْهِمْ آيَاتكَ ويُعلِّمُهُمُ الْكتَاب وَالْحكْمة ويزكِّيهمْ إنَّك أنت الْعزيزُ الْحكيمُ﴾[البقرة:١٢٧-١٢٩].

ولبّى الله - تعالى - نداءَهما، فَبَعث فِي الأُميّين رسُولاً عظيماً كريماً، هو خاتم النبيين سيدنا « محمد» ﷺ

إســـحاق ـ عـليه السلام ـ

﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١١٢].

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾

[إبراهيم: ٣٩]

وتمت البُشْرى لـ«سارَّة» فولدتْ «إسْحاق» ـ عليه السَّلام ـ وكان بينه وبيْن «إسماعيل» أربع عشرة سنة. !

وشبَّ «إسْحاق» وكَبِر وأرادَ أبوه أَنْ يُزوِّجَهُ وفي تلْك الأثْناء تَوفَيتْ «سارَّة». . فَحَزن لفقدها «إبراهيم».

وَوَرِثَ «إسحاق» ـ عليه السلام ـ النبْوَّة عن أبيه «إبراهيم»، ورثها في أرض «كنْعان». . وكما ورثها «إسماعيل» من قَبْل في أرض «الحجاز». وبناءً عليه. . . كان «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ أبا الأنبياء، إذ تَسَلْسَلت النْبوة في ذُرِّيته حتى خاتمهم سيدنا رسُول الله ﷺ فكل مَنْ جاءَ بعد «إبراهيم» في الأنبياء كان من نسْلِه الطيب الطاهر. . !

حَمْلَتْ زوجةُ «إسحاق» ثُمَّ وضَعَتْ تؤأماً؛ هُما: «الْعيصُ» و«يَعْقُوب». .

وكان «العيص» أوْل الخارجين من بطن أمه، ثم خَرَج عَقَبَة «يَعْقوب». . ولذا سُمى بهذا الاسْم.

●●●●●

يَعْقوب ـ عليه السلام ـ

﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود: ٧١].

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا ﴾ [الأنعام: ٨٤].

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلاًّ جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٢].

لَجَأَ «**يَعْقوب**» ـ عليه السلام ـ إلى خالِه «**لابان**» في «**فدان آرام**» فرحّبَ بِه خالُه وأمَّنَه، وأكرم وفادتَه.. وَطَمْأَنَهُ وتم مقامه لدى خاله عشرين سنة.

وَعُرِف «**يَعْقوب**» عليه السلام ـ باسْم «**إسْرائيل الله**»، أي: عَبْدُ الله.

وهب الله لـ «**يعقوب**» عليه السلام ـ اثنَى عشر ولداً ذكراً، هُم الأسباط..! وكان على نَهْج أَبيه وجدِّه فِي النُّبُوَّة (**إسحـــق وإبراهيم**) ـ عليهما السَّلام ـ! وأشهر أبنائه الذي ورث النبوَّة «**يوسف**» ـ عليه السلام.

●●●●●

يوسف - عليه السلام -

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[يوسف: ٤ ـ ٦].

هنا . . . تتداخل قصَة « يوسف» مع قصَةِ « يعقوب» ـ عَلَيْهما السلام ـ كانت الرُّؤْيا الباب الواسع الذى دخل منه « يوسف» ـ عليه السلام ـ فى رحْمة الله تعالى، اصطفاءً واجْتباءً. . . ، ثم ابتلاءً ونعْمة . .

كانَ ـ عليه السلام ـ جميلاً وسيما، قَد نال شَطْر الحسن كما أخبر بذلك الصادق الأمين سيدُنا رسول الله ﷺ

وكان لطيفاً مُحبَّباً دَمثاً. . ،لذا آثَرَه أبوهُ « يَعْقُوبُ» على إِخوتِهِ، فحقدوا عَلْيه؛ وكانوا يعاتبُون أباهم في ذلك. ثُمَّ أَضمروا له الشَّر. . !

واحْتالُوا على أَبيهم في استخراجه مَعَهُم للصَّيْد وَالنزْهة، فَقَبِـل مكْرهاً ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴾ [يوسف: ١١ ـ ١٣].

ثُمَّ بيتوا أَمْرُهم على الخلاصِ مِنْ «يُوسُف» وتحيَّروا بيْن قَتْلِهِ أَوْ رميه فِي جُب . . !

﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا

صالحين (٩) قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين﴾ [يوسف: ٩-١٠].

وفعلوا. . .، ثم ﴿ وجاءوا أباهم عشاء يبكون (١٦) قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين (١٧) وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون﴾ [يوسف: ١٦-١٨].

ومنّ الله - تعالى - على « يوسف» - عليه السلام - إذ مرّت قافلة بالجُبّ فأرسلُوا واردهم ليستقي لهم الماء، فتعلّق « يوسف» بالدلو. . . بعد أن قَضى في ظلام البئر ووحشته أياماً وليالي. . !

فاستبشروا به. . .، ثم باعوهُ في «مصر» بثمن بخس دراهم معدودة.

ولقد كان هذا أول ابتلاءٍ لـ« يوسف » - عليه السلام - فكان من الصَّابرين. !

اشتراه «عزيز» مصر - كبيرُ وزرائها، فقال لامرأته: ﴿ أكرمي مثواه عسىٰ أن ينفعنا أو نتخذه ولدا﴾ [يوسف: ٢١].

يَخدمنا في شؤوننا وحاجاتنا، أو نتبناهُ ولداً لنا، حيثُ حُرمنا الولد. ! ومرت سنوات كان « يوسف» خلالها يَشبّ ويزداد نضوجاً، وجمالاً وحسناً ونضارةً، فتعلق قلب امرأة العزيز بيوسف.

وفي يوم غلّقتَ عليه الأبواب، ودَعَته إلى الفاحشة، وقالت: هيت لك! وراودتهُ عن نَفْسه. . . فاستعصَم وأبى. . . وحاورته وداورته. . . ولاحقته. . حتى قدّت قميصه من دُبرٍ أثناء فراره منها. . !

وعند الباب الخارجي للدار الْتَقيا « العزيز » وَمَعهُ ضيفٌ من أَهْلها. . ، فقالت مبْتــدرةً متهمة: ﴿ ما جزاءُ مَنْ أَرادَ بِأَهْلِك سُوءًا إلاَّ أن يُسْجَنَ أَوْ عذابٌ أليـم﴾ [يوسف: ٢٥].

وأَدرك الضّيْف الزائر ما فِي دعْواها من باطلٍ فقال: ﴿ إن كَانَ قَميصُهُ قُدَّ من قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وهُوَ من الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإن كَانَ قَميصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادقين﴾ [يوسف:٢٦، ٢٧].

وتجلَّت الحقيقة بيِّنه لاغبار عليها فقال لها العزيز: ﴿ إنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إنَّ كَيْدَكُنَّ عَظيمٌ﴾ [يوسف: ٢٨].

وأراد «العزيزُ» طَمْس الْخَبرِ، فَأَمَر بسْجن « يوسف » وَطَلب إلَيْه أَنْ يسْكُتَ عما جرى ثم طلب من زوجته أن تستغْفر لذنبها وخطيئتها ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِك إنَّك كُنت مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٢٩].

وكان هذا هُوَ الابتلاء الثاني لِـ « يوسف » ـ عليْه السلام ـ بالتُّهمة الكاذبة المُفتراه، ثم السجن، فَصَبر وقال: ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إلَيْهِ وَإلاَّ تصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

ودخل « يوسف » ـ عليه السلام ـ السّجن في غير جريمةٍ ولا ذَنْبٍ ولا جريرة. . . ظلما وزوراً وبهتانا. !

ودَخَلُ معه السَجْن فتيانِ، أحدهما ساقى الملك، والآخر خبَّازه؛ وتقرَّبا إليه لما رأيا فيه مِنْ خُلُقٍ واسْتقامةٍ وعلم. !

ورأى كُل منهما رؤيا، فأتياه يقولان له: ﴿ قَالَ أَحَدُهُمَا إنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إنِّي أرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إنَّا نَرَاكَ مِنَ

المحسنين (٣٦) قال لا يأتيكما طعامٌ ترزقانه إلاَّ نبَّأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون (٣٧) واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نُشرك بالله من شيءٍ ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكنَّ أكثر الناس لا يشكرون (٣٨) يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار (٣٩) ما تعبدون من دونه إلاَّ أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطانٍ إن الحكم إلاَّ لله أمر ألاَّ تعبدوا إلاَّ إياه ذلك الدين القيم ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون﴾ [يوسف: ٣٦ ـ ٤٠].

قال لهما ذلك... قَبل أنْ يؤول لهما رؤياهما..!

لم ينْس ـ عَلَيه السلام ـ واجبه ورسالَته ونبُوَّته وهُو فِي ظلام السجْن..!

ثم أفتاهما فقال: ﴿ يا صاحبي السجن أمَّا أحدكما فيسقي ربه خمراً وأمَّا الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الأمر الذي فيه تستفتيان﴾ [يوسف: ٤١] ثم وَصَّى الناجيَ منْهما أنْ يَذْكُرَهُ عند الْمَلك..!

لكنه نسى وقد أخذتْهُ فَرَحَةُ النجاة مِن الموْت..!

ومرَّت بِضْع سنواتٍ... و«يوسُف» ـ عليه السلام ـ لا يزال قابعا في أغْوار وظلمات السِّجْن..!

إلى أن رأى الملك رؤيا أَفْزَعَتْه، رأى سَبْع بقراتٍ سمانٍ يأكلُهُنَّ سبع عجاف، وسبْع سنُبلات خُضْر وأُخُر يابسات.. فدعا كُبراءَه ووزراءَه وذوي الرأي عِنْده ليفسِّروا لَهُ تلْك الرُّؤيا ورمُوزها.

عندئذٍ تذكَرَ ساقى الملك ما كان من أَمْرِه مع «يوسف»، فأستأذَنَ فِي

الذهاب إليه واسْتفْتَائه. . ، فأتاهُ. . . وأطلعه على الرُّؤْيا التى رآها الملك، فقال «يوسف» ـ عليه السلام ـ: ﴿تزْرعَون سبْع سنين دأبًا فما حصدتُّمْ فذرُوهُ في سُنبُله إلاَّ قليلاً مّمَّا تأْكُلُون (٤٧) ثُمَّ يأْتي من بعْد ذلك سبْعٌ شدادٌ يأْكُلْن ما قدَّمْتُمْ لهُنَّ إلاَّ قليلاً مّمَّا تُحْصنُون (٤٨) ثُمَّ يأْتي منْ بعْد ذلك عامٌ فيه يُغاثُ النَّاسُ وفيه يعْصرُون﴾ [يوسف: ٤٧ ـ ٤٩].

وتحقَق التأويل. . . فقال الملكُ: ائتُونى به. . !

ولم يَقْبل «يوسف» ـ عليه السلام ـ أَنْ يَخْرُج قَبْل أَنْ تَنْجلي حقيقة سجنْه ظلْماً. . ، فَأمَر الملك بإحْضارِ كُل من ادّعى على «يوسف». . . عُدْواناً وافْتراءً. . . فقالُوا: ﴿حاش للّه ما علمْنا عليْه من سُوءٍ﴾ وقالت امـرأة العزيز: ﴿الآن حصْحص الْحقُّ أنا راودتُّهُ عن نّفْسه وإنَّهُ لمن الصَّادقين﴾.

عندئذٍ خرَج «يوسف» ـ عليه السلام ـ من السّجن واضح الحُجَّةِ، مبرأ الساحة واستخلصهُ الملِك لِنفْسِهِ، وعيَّنه بناءً على طلبِهِ أميناً على خزائن الأرض وغلاَّتها.

وهكذا خرَج ـ عليه السلام ـ من المحنة إلى المنَحة...بفضلٍ من الله ـ تعالى ـ الذي ابْتلاه فَصَبَرَ وشكر؛ ومن القاع إلى القمَّة.! من قاعِ الجُبِّ إلى قمة السُّلطة.

ودخلت البلادُ من مصر إلى أقصى الشام في محْنة الجدْب والْقَحْط، وكان «يوسف» ـ قد أعدَّ عُدتَه، فتوافد الناسُ عليه يطلبونَ المؤُونة، فلبى مَطْلبهم؛ وجاءَ إِخْوتُه فعرفهم ولم يَعْرفُوه. . . ، ولم يَرَ معهم أَصْغَرهم «بنيامين» وكان محْبباً إليه. . ، فأوفى لهم الكيل وزادهم، واشترط

عليهم أن يأتوهُ فِي المرَة القادمة ومعهم «بنيامين» وإلا فلا كيل لهُم عنده. . .

فلما رجعوا إلى بلادهم ورغبوا إلى أبيهم «يعقوب» ـ عليه السلام ـ أن يرافقهم «بنيامين» فى رحلتهم التالية. . . ، وأَلحُّوا فِي ذلك، رغبةً فِي زيادةِ الحصة من الطعام. . !

فامتنع «يعقوب» أَوَلاً. . . وما زالُوا به حتى أَقْنَعوهُ. .

﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٦٣) قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[يوسف: ٦٣ ـ ٦٤].

ثم أخذ عليهم مَوْثقا بالمحافظة على أخيهم: ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [يوسف: ٦٦].

استقبلهم «يوسف» ـ عليه السلام ـ ورحب بهم، وانتحى بأخيه «بنيامين» وعرفه بِنَفْسه: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [يوسف: ٦٩].

وكاد لهم كى يستَبْقى أخاهُ عِنْدَه. .إذ جَعَل صواع الملك (كأس شرابه) في رَحْل أخيه، فلما ارْتَحلُوا. . . ولم يبتعدوا. . . نادى فيهم الشُّرط والحرس: أن قِفُوا. .لقد فَقَدْنا صُواع الملك. .وراحوا يفتَشُونهم. .حتى وجدوا الصِّواع فِي رحْل «بنْيامين».

فأُخذَ رهينةً جزاء فِعْله. . .وحاولُوا أن يقنعوا «يوسف» ـ وهم لا يَعْرفونه أَنْ يَسْتَبْقي عنده غير «بنيامين» رهينةً. .وتطوَّع لذلك كبيرهم؛ لكن «يوسف»

أَبي وقال: ﴿قال معاذ الله أن نأخذ إلاّ من وجدنا متاعنا عنده...﴾.

وأسقط في أيديهم، وعادوا إلى أبيهم يَرْوونَ له ما حَصَل لهم، فازْداد «يعقوب» هَما على هَم، وَحُزْناً على حزن...، وانتكأت جراحُ نَفْسِه على «يوسف» واشتد بكاؤه حتى ابيضَتْ عيناهُ من الحزْن..!

ثم إنه طلب فى أولادِه أن يتحسَّسُوا من «يوسف» وأخيه،ولا ييأسوا..! فأتْوا «مصْر» ودخَلُوا على«يوسف»وقالُوا: ﴿يا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾[يوسف: ٨٨]

عندئذ حنَّ لهم «يوسف» ورقَ لهم،فقال: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾ [يوسف: ٨٩].

فاسْتفاقوا من غَفْلتهم، وتَنبَّهوا لِفعْلتهم: ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ من يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

وأظهروا النَّدَم والحسْرة... وبكُوا، فقال لهم «يوسف» الصِّدِّيق، الممتلئ حناناً وصفاءً: ﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[يوسف: ٩٢]

وأعطاهُم قَميصَه وقال: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [يوسف: ٩٣].

واشْتَمَّ «يعقوب» ـ عليه السلام ـ عن بُعْدٍ ريح قميص «يوسف» قَبْل أن يصلوا إليه فقال: ﴿إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٩٥].

﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ

الله ما لا تعلمون ﴾ [يوسف: ٩٦].

وَحَضَرَ «يعقوب» وأهله إلى «مِصْر»...وكانَ اللِّقاء العظيم!

وانحنَى الجميع بَيْنَ يدي «يوسف» تكْريماً. . فقال ـ عليه السلام ـ: ﴿يا أبت هذا تأويلُ رُءْيَايَ من قبْلُ قَدْ جَعَلها ربي حقًا ﴾ [يوسف: ١٠٠].

وَرَفَعَ أبويْه على العرْش، «يَعْقُوب» وخالَتِه التي ربته. . . «ليئة» وأقاموا بـ «مِصْر» زمناً. . . حتى كانت وفاة «يعقوب»، وكان قد وَصَّى أن يُدْفَنَ إلى جانب آبائِه «إسحْق» و «إبراهيم» فنفذ الوصية وعاد «يوسف» إلى «مِصْر»، حيْث أقام مع أهْلِه وقَوْمه وإخوتِه.

●●●●●

شعيب ـ عليه السلام ـ

﴿إِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا . . . ﴾ [الأعراف: ٨٥].

قَوْم «مَدْيَن» هم ذُرِيَّةُ «مَدْيَن بن إبراهيم» ـ عليه السلام ـ أَحَدُ أبنائه ـ سَكَنُوا ما بَيْن «الحجاز» و«الشام». . . ومع مرور الحقب والأزمان انحرفوا عن مِلةِ «إِبراهيم» ـ عليه السلام ـ فأَشْرَكوا بالله ـ سبْحانه ـ وعبدوا غيره، واتخذوا لهم آلهةً أصناماً وأوثاناً يُقَدسُونها.

وكانوا أَهْل تجارةٍ. . .، بيْعاً وشراءً. . ديْدنهُم الظُّلمُ والبخْس، يطفِّفُون الكيْل والميزان، ويبخسون الناس أشياءهم. !

إذا اكتالوا على الناس يَسْتوفون، وإذا كالوهم أو وزنوهم يُخْسرون؛ ويُماكِسُون الناس في سلعهم إرادة شرائها بثمنٍ بخْس.

فابتعث الله ـ تعالى ـ نبيهم «شعيباً» ـ عليه السلام ـ واحداً مِنْهم، ليردُهم ويَردعهم عمَّا هم فيه، ويعود بهم إِلى أَصالَة «إِبراهيم» جَدِّهم؛ ـ عليه السلام ـ

وكان «شُعَيْب» ـ عليه السلام ـ فصيحاً بليغاً ذَا فصَاحة ومَنْطق، فنهاهم وحذَّرهم من عذاب الله ولم يترك وَسيلة إلا اتَّبعها، وأحاط بِهِم يعظهم في بُيُوتهم ونواديهم ومُجْتمعاتهم، ويقف فيهم خطيباً. . . ويُقيم الحجَّة عليهم.

فأنكروا عَلَيْه وَكذَّبُوهُ. . !

ولم يكتفُوا بذلك. . بل كانوا يَقْعدون على الطُّرق يرصدون الناس الذين

يأْتون «شعيبا» ليصدُّوهُم عما يَدْعو إليه، ويتوعَّدون من يؤمن به أو يتبعه..

ثم إنهم تهدّدوه بِالْطَّردِ والإخراج من ديارهم، هوَ والذين آمنوا معه، إن أصرّ على هدايتهم: ﴿قال الملأُ الَذين اسْتكبَروا من قومِهِ لنُخْرجنَك يا شعيبُ والَذين آمنُوا معكَ مِن قريَتنا أَوْ لتعودُنَ في ملّتنا قال أو لوْ كنّا كارهين﴾[الأعراف: ٨٨].

فكان جوابُه عليه السلام: ﴿قدِ افترَيْنا على اللّهِ كذبًا إنْ عُدْنا فِي ملّتكُم بعْد إذْ نَجّانَا اللّهُ منْها وما يكُونَ لنا أن نَعودَ فِيهَا إلاّ أن يشاء اللّهُ ربُنا وَسعَ ربُّنا كُلَّ شيْءٍ علْمًا على اللّه توكَلْنا ربّنا افتحْ بيْننا وبين قومْنا بالْحقِ وأنتَ خيْرُ الْفاتحِين﴾[الأعراف: ٨٩].

واستجاب الله ـ تعالى ـ لنداءِ نبيّه «شعيّبٍ» ـ عليه السلام ـ ففتح بيْنه وبيْن القوم الظالمين.

فلقد كان من شدَّة جهلهم أن يطلبوا إلى«شُعَيبْ» أن يُسقط عليهم كِسفا من السَّماء ـ أي قطعة منها ـ إن كان من الصادقين!!! فأخذهم عذابُ يَوْم الظُّلَّةُ..!

فسلَط الله ـ تعالى ـ عليْهم الحَرَّ سَبَعةَ أَيَامٍ حتى غَلَتْ مياهُهُم.. ثم ساق إليْهم غمامةً..، فاجتمعوا للاستظلال بها من وهج الشمس وحرِّها..، فأمطرت عليهم ناراً..، فاحْترقوا... ولَبِثوا في ديارهم جاثمين. فَحْماً مُحْترقاً أَسَود، كأنْ لم يغْنوْا فيها..!!

ونجى الله ـ تعالى ـ «شعيبا» والذين آمنُوا معه، برحمة منه وَفَضْل.

●●●●●

(أيّــوب) ـ عليه السلام ـ

﴿ وأَيُّوب إِذْ نادىٰ ربَّهُ أَنِّي مسَّنِي الضُّرُّ وأَنت أَرْحَمُ الرَّاحمين (٨٣) فاستَجبْنا لهُ فكشَفْنا ما به من ضُرٍّ وآتيْناهُ أهْلَهُ ومثْلهُم معَهُم رحْمةً منْ عندنا وذكْرىٰ للْعابدين ﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤].

هو من سُلاَلَة «العيص بن إسحاق» وكان ـ عليه السلام ـ كما رَوَتْ كتب التاريخ رجُلاً كثير المال، من سائر صنوفه وأنواعه، من الأنعام والعبيد والمواشي، والأراضى المتَّسعة، بأرض «الثنَيَّة» من أرض «حورَان» «جنوب دمشق»، بل كانت كل تلك الأراضي له، وكان له أهل وأولاد كثيرون.

فَسُلبَ منه ذلك جميعُهُ، وابتُلِيَ في جَسَدِه بأنواعٍ من البلاء، ولم يتبَق منه عضْوٌ سليم سوى قلْبه ولسانه، يذكر الله ـ عز وجلَّ ـ بهما؛ وهو في ذلك كله صابر مُحْتسب، ذاكر لله ـ عزَّ وجل ـ في ليله ونهاره وصباحِه ومسائه.

واشتدَت عليه العلَلَ، وطال به المرض حتى عافه الجليس، وأوْحَشَ منه الأنيس.. وأُخْرج من بلدِه وأُلْقى على مزْبلة خارجها، وانقطع عنه الناس، ولم يَبْق أحدٌ يحنو عليه سوى زوجته، ترعى له حقه، وتعرف قديم إحْسانِه إليها، وحَبه لها، وشفقته عليها.

فكانت ترعاه وتساعده وتصلح من شأْنه، وتعينُه على قضاء حاجتِه، وتقُوم بمصلحتِه.

ثم إنها ضَعُفَ حالها، وكلُّ مالُها، حتى كانت تخدم الناس بالأجْر، لتَطَعمه وتُقُوم بأَوَده...، صابرةً معه على ما ابتلاهُ الله بِهِ.. وعلى فراق الأهل والولد...، بعدما كانت تعيش فيه من رفاهية وسعةٍ وغنى.

وُيحكى عن بلْواه أنها طالت مُدَّةً من السنين ـ الله أعلم بها ـ حتى تساقط لحمُهُ وتهرَّأ جَسَدُهُ ونَتَنَ ريحه. !

وقد قالت له زوجته يَوْماً: لو دعوْتَ ربَّك لَفَرَّج عَنْك .. ! فأجابها: لقد عشْتُ سبعين سنة صحيحاً.. فهل قليل على الله ـ تعالى ـ أن أَصْبِرَ له سبعين أُخرى..!

وكرِه الناس خدْمة «زوجته» لهم، مخافة أَنْ تَعْديهم .. فهجروها، فاضطرت إلى بيْعِ ضفيرة من شَعْرِها لتشتري لأيوب » طعاماً..فقال: من أيْن لَكِ هذا؟ فقالت: خدمْتُ به أناساً..! فَسكت عنها، ثم إنها اضطرت لبيْع الضَفيرة الأُخرى..فلما جاءتْهُ سَأَلها..فكشفت عن رأْسها، وأخبرتْه الحقيقة.. فأنكر عليها،وحَلَفَ أن لا يأكل من الطعام،وأَقْسم ليضربنَّها مائة سوْطٍ على ما فعلت.

وجاءه يَوْماً صاحبان له...، ولم يستطيعا أن يتقدمّا منه لِنَتَنِ ريحه، فَقاما بعيداً، وقال أحدُهما للآخر: لو كان الله عَلِم من أَيُّوبٍ خَيْراً ما ابْتَلاهُ بهذا...

فَسَمِعَهُما، واشتدَّ به الجزع، ثم قال مناجياً: اللهم إن كُنْتَ تعلم أنى لَمْ أَبِتْ ليْلَة قط شبعاناً وأنا أَعْلَمُ مكان جائعِ فَصَدِّقْني..، فصدقت الملائكة على كلامه من السماء ـ وهُما يَسْمعان ـ ، ثم قال: اللَهَّم إن كنت تعلم أنى لم يكن لى قميصان وأنا أعلم مكان عارٍ فصدِّقْني..! فصدقت الملائكة على كلامه من السَماء ـ وهما يَسْمعان ـ ثم قال: اللُهمَّ بِعَزتك...،وخرَّ ساجدًا: وقال اللهم بعزَّتك لا أرْفع رأْسي حتى تَكْشِفَ عني..!

- فما رفع رأَسَهُ حتى كُشِفُ عنه..!

ونودي من السماء: ﴿ اركُض برجلك هذا مغتسلٌ باردٌ وشرابٌ﴾ [ص: ٤٢].

فحدثت المعجزة فهمز برجْله الأرض فتفجَّرتْ ماءً عَذْباً فُراتاً، فاغْتَسل وشَرِبَ، وشوفي تماماً مما كانَ فيه.. وقفز وانتَصب واقفاً مُعافى كأن لم يكن بِهِ شيء.

وجاءَتَ زوجَتُه تبحَثُ عنه في المكان الذي كان يثوى فيه، فلم تجْدهُ، فارتاعت وفَزِعَتْ..، ثم لاح لها قادماً...، فَظنَتْهُ غيره، فسألَتُه: هل رأيْتَ نبيَ الله هذا المْبتَلى..؟فوالله القدير ما رأيت رجلاً أشْبه به منَك عندما كان صحيحاً..! فقال ـ عليه السلام ـ : فإني أنا هو..!

في تلك اللّحظات بعث الله ـ تعالى ـ بسحابتَين أفرغت إحداهما ذَهَباً والأُخرى فضةً..!.

وأوْحى الله ـ تعالى ـ إليْه أن ردَدْتُ عليك أهلك ومالك، ومِثْلهم معهم..!

وحين أراد الوفاء بِقَسمه أن يضْرب زوجته مائة سَوْطٍ أوَحى الله إليه تَكْرمةً ورحمةً ووفاء أن يأْخُذَ بيده حزمةً بها مائة عود من شماريخ النخيل يضربها به ضربةً واحدَة.. فَفَعَل! ﴿ وَخُذْ بِيدكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بّهِ ولَا تَحْنثْ إنّا وجدْناهُ صابراً نّعْم الْعبْدُ إنّهُ أوّابٌ﴾[ص:٤٤].

وعاش « أيوب» بَعْدها سبعين سَنَةً أخُرى، في طاعة الله وعبادته.

●●●●●

(إليــاس) ـ عليه السلام ـ

﴿ وإن إلْياس لمن الْمُرْسَلين (١٢٣) إذْ قال لقومه ألا تتَّقُون (١٢٤) أتدْعُون بعْلاً وتذرون أحسن الخالقين (١٢٥) الله ربكُم وربَّ آبائكم الأولين (١٢٦) فكذبُوهُ فإنَّهُمْ لمُحْضرون (١٢٧) إلاَّ عباد الله المُخْلصين (١٢٨) وتركْنا عليه في الآخرين (١٢٩) سلامٌ على إلْ ياسين (١٣٠) إنَّا كذلك نجْزي الْمُحْسنين (١٣١) إنَّه منْ عبادنا الْمُؤْمنين﴾

[الصافات: ١٢٣ ـ ١٣٢]

● « إلياسُ » « وإلْ ياسين » مسمى واحد . .

وهو من ذريَّة وحَفَدَة سيِّدنا « هارون » ـ عليه السلام ـ فَبَعْد وفاة « هارون » و« مَوسى » ـ عليهما السلام ـ دَخَلَ « يوشَعُ بن نون » بـ «بني إسرائيل» الأَرْض المقدَّسة . . . وكانوا من قَبْلُ يقولون لـ «موسى» : ﴿ فاذْهبْ أنت وربُّك فقاتلا إنَّا هاهُنا قاعدون﴾ [المائدة: ٢٤] في أرْض «سيْناء» .

ولكنَّهم كانوا بَيْن الحقبة والحقْبة يَرتدوّن، ويَقْتُلون النبيِّين ويُفْسدون في الأَرْضِ .

ثم إنَّ « إلياس » ـ عليه السَّلام ـ هَجَرَهم ، واختارَهُ الله ـ تعالى ـ نبيا إلى قَوْمٍ اتخذوا الشَمْس مَعْبوداً لهم .

كانوا يسْكُنون الطرف الشرقي الشمالي من جبــل لُبْنان، عــند مدينة «[illegible]» لم تكُن قد عُرِفَتْ بهذا الاسْم .

وهؤلاء أوُل من سمى الإلــه (بَعْلاً) . . ! وجَسَّدوه أوثاناً وأَصْنامًا،

يقدسْونها ويعظِّمونِها، وكانوا فى رفاهه من العيْش ورغدٍ، بسبب ما كانت تدره عَلَيْهم الأرض من زروعٍ وثمار ونباتاتٍ شتى، حيث الأنهار الجارية، العذْبة الوفيرة النَميرة ﴿ كَلاَّ إِنَّ الإِنسان ليطْغَىٰ (٦) أن رَّآهُ اسْتغْنىٰ﴾ [العلق: ٦-٧].

●فبدلاً من الشكر على ما أُوتُوا كفَروا وبغُوا وطغوا. . . !

فأتاهُم « إِلْياس» ـ عليه السلام ـ وهُم في طُغْيانهم يعمهون، فَوَعَظَهم ونبههم، وحذرهم وأنذَرهم وقال لهم: ﴿ أَتدْعُونَ بعْلاً وتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالقينَ﴾ [الصافات: ١٢٥].

فالشمس والأَرْض وكُلّ مَوْجودٍ، وأَنْتُم من مخلوقات الله ـ تعالى ـ فكيْف تَعْدلون؟ وأنى تذهَبُون. . ؟

فاستجَابْ لَهُ الأقلُّون وكَفَر بِهِ الأكْثرون، لكنه لمَ يَيْأس وظلَّ على دَعوتَه لهم إلى الحقَ والهُدى. . !

حتى شاخ وكَبرَ، ثم اختارَهُ الله ـ تعالى ـ إلى جوارِهِ.

●●●●●

(اليسع) ـ عليه السلام ـ

﴿ إسماعيل واليسع ويونس ولوطًا وكلاً فضلنا على العالمين﴾ [الأنعام: ٨٦].

﴿ واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار﴾ [ص: ٤٨].

كان بيْن « إلياس »، و« اليسع » قرابة ورحمَ، فهما أبناءُ عَمومة. . !

كان « إلياس » كما ذكرنا من ذرية « هارون » ـ عليه السلام ـ، و« هارون » و« موسى » من ذريةَ «لاوى» ابن « يَعْقوب ».

أما « الْيَسَع » فكان من ذُرِّيَّة «العيص» عيسو ـ ابن « إسحْاق ». . !

وكان « الْيَسع » ـ عليه السلام ـ قد لازَمَ « إلْياس » فى هجرته إلى «بَعْلَبَكَّ» وكان عوْناً لَهُ في دَعْوته. . ! فلما مات « إلياس » اختار الله ـ تعالى ـ « الْيَسع » نبيا يتابعُ الرسالة، ويؤدِّي الأمانة.

فَنَشط لها أيَما نَشاط، دونما كَلَلٍ أَوْ مَلَلٍ، لا يَفْتر عن هداية الناس، ويقوم بَيْنهم بالحقَ والْعَدْل، حتى إنَّه قُدِّر له أَنْ يهْتدي به جَمٌّ غفير، ويتبعه خَلْق كثير.

كما قُدِّر له أَيْضاً أن يتجاوز حُدُودَ «بعْلبك» وما جاورها، فاتَّجَه جنوباً حتى بَلَغَ «بانياس» وهي تَقَع على مُثَلَّث الْتقاء «سورية» بـ«فلسطين» و«لبنان». فكان لا يمر ببلدةٍ أو قَرْيةٍ إلا ويبذر فيها بذرة الإيمان بتوحيد الخالقِ ـ عزَّ وَجَل ـ! ونبْذ الأوثان والأصنام؛ ولقد قُدرَ لـ « الْيَسَع » ـ عليه السلام ـ أن تتكَّرر رحلاتُه بيْن تلْك البُلْدان، ليثبت الذين آمنُوا، ويطمئن إلى أَنَّ ثمرَةَ اليقين بالحق قد آتَتْ أُكُلها. . . حتى حان حينه ، وانْتهى أَجَلُه.

(ذو الكفل) ـ عليه السلام ـ

﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ (٨٥) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٥ ـ ٨٦].

﴿ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الأَخْيَارِ ﴾ [ص: ٤٨].

«**ذو الكفْل**» ـ عليه السلام ـ أحد أبناء «**أيُّوب**» ـ عليه السلام ـ كما قيل، أو من ذُرِّيته.

وقد لازم «**الْيَسَع**» وتَبِعَهُ. . . ولكنَّه كان مَغْموراً. . . ليْس بذى شأْنٍ يُذْكر.

فلما كبر «**الْيَسَعُ**» وشاخ وتَقَدَّمت بِهِ السِّنُّ، وقارب الفراق، نَظَرَ فيمن حوله وقال: لو أنني استخلفْتُ على الناس من يَعْمل فيهم منَ بَعْدي؟!، لكني أشترطُ عليه ثلاث خصال: **يصومُ النَّهَار، ويقوم الليْل، ولا يَغْضَبَ..!**

فقام رَجُل تزدرية العينْ فقال: أنا. . فقال له « **الْيَسَع** »: أنْتَ تصوم النهار وتقوم الليل ولاتَغْضب؟قال: نعم. . فَصَرف عنه وجْهه، وردَّه في ذلك اليوم.

وتكرَّر قَولْ «**الْيَسع**» ـ عليه السلام ـ مَرتين في يوميْن آخرين، فكان نفس الرَجُل يقول ذلك. . فَقَبِلَهُ. . وتكفَّل فسُمَي«**ذو الكفْل**»! وصَدَق في كفالتِهِ.

وقَصَة ذلك أن «**إبليس**» قال لأعوانِهِ: «عليْكم بِهِ. . . فراودوهُ مُدَّةً. . . فلم يقدروا عليه، فقال لهم «**إبليس**»: أنا لَهُ. . !

فأتاه فى صورة شيْخ كبيرٍ فقير. . . حين أخذ مَضْجَعَهُ لِلْقيْلولة وكان لا يَنُام ليله ولا نهاره إلا تَلْك الساعة فقط، فَقَرع الباب، فقال: من هذا؟

قال: شيخ كبير مظلوم... فقام «ذو الكِفْل» وفَتَح الباب، واستمع إلى شكوى الرجل «إبليس» بأَنَّ بينَه وبيْن قومه خصومة، وأنهم ظلموه... وطوَّل في الحديث.. حتى ذهبت ساعةُ القيلولة .. فقال له «ذو الكِفْل»: إذا رُحْتَ الغداةَ إلى مَجلسي فائتنى آخذ لك حقَّك.

وفى اليوم التالى جلس «ذو الكفل» مجلسه للناس، لكنَّ (اللَّعين) لم يَحْضر.. وراح يتطلَّع في وجوه القوم يتفرسهم فلم يَرَهُ فيهم..ثم انصرف إلى داره..فأخذ مضجعه ..فأتاه فى حينه ودق الباب فقال: من هذا؟ قال: الشيخ الكبير المظلوم، ففتح له وقال: ألم أقُل لك إئتنى فى مجلسى فقال (اللعين): إن قَوْمي أخبث الناس إذا عرفوا أنَك قاعد قالوا لى: نُعْطيك حَقَك، فإذا قُمْتَ من مجلسك ظلمونى..!فقال له «ذو الكِفْل»: لا عَلَيْك.. إذا جلْستُ الغد فائتنى..!

وكذلك لم يحْضر (اللَّعين)... وحانت ساعة قيلولة «ذى الكفِلْ» فقال لأهْله: لا تدعُنَّ أحدًا يقرب الباب حتى أنام ، فإنى قد شَقَّ علي النَوْم!!!

فلما أوتى مضجعه، جاء وأراد قَرْع الباب، مَنَعَهُ الحارس من ذلك..، وقال له: وراءَك...وراءَك... قال (اللعين): قد أتيتْه أمس وذكرْتُ له أمري..! قال الحارس: لا والله... لقد أمرنا أن لا نَدَع أحداً يقْربه..!

فتحيَّر (اللعين) ماذا يَفْعل..ثم رأى كوَّة في البيْت، فتسور منها، فإذا هُوَ فى وسط الدار، وإذا هُـو يدَقُّ الباب من الداخل.. فقام مغتاظاً يعاتِبُ الحارس، فقال: يا سيدى، أما مِنْ قِبَلِي فلم تُؤت فانظر من أيْن أُتيت.

فتقدَّم إلى الباب، فإذا هو مُغْلق ـ كما أَغلقه بِنفسه ـ وإذا (اللعين) معه

في البيْت . . . فَعَرَفَهُ وقال : أَيْ عَدُوَّ الله . . !

قال : نعم . . لقد أَعْيَيْتني في كُل شيءٍ فَفَعلْتُ كُل ما ترى لأُغضبَكَ ! !

ولكنَّكَ وَفَّيتَ بِوَعْدِك لـ «الْيَسَع» .

فسماهُ الله ـ تعالى ـ «ذا الكِفْل» ؛ لأنه تكفَّل بأمْرٍ فوفىَّ بِهِ .

●●●●●

(يونس) ـ عليه السلام ـ

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤١) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (١٤٢) فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤) فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (١٤٥) وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ (١٤٦) وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧) فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾

[الصافات: ١٣٩ ـ ١٤٨].

﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧ ـ ٨٨].

هو «يُونُس بن متى» كما جاءَ في حديث سيِّدنا رسول الله ﷺ؛ ولا نزيد على ذلك في النَّسبَ.

اختَارَهُ الله ـ تعالى ـ أو أَمَرَه ـ بالذِّهاب إلى أَهْل «نينوى» في «**العراق**»، وكانوا قد ضَلُّوا سواء السَّبيل، ومالُوا عن الصراطِّ المُسْتقيم.

لكنَّ «يُونُس» ـ عليه السلام ـ رَغِبَ عن ذلك خَوْفًا أن لا يُصدِّقُوهُ، فليس بَيْنَهُ وبينهم قرابة ولا نسب، وليس له فيهم عَصَبَيْة تدفع عنه وتحميه؛ فمالَ عن ذلك. . . !

فابتلاهُ الله ـ تعالى ـ قصاصاً، وامْتَحَنَه. . . !

وقصد إلى شاطئَ بْحر فرأى سَفينةً. . .، فأشار إلْيهم. . .، فحملوهُ مَعَهُم. . .، وَظَن أَنَه ناجٍ. . .

وفي لَيْلَةٍ هَبَتْ رِيحٌ هَوْجَاء عاتية، مَزَّقت أَشْرعة السَّفينة، فكادت تَغْرق بِمَنْ فيها، فقالوا: إن حمْلها ثقيل .. لابُدَّ أن نَخفِّض من الحُمُولة، ولنقْترع، فَمَنْ أصابَتْه القُرعَةُ أَلْقيْنَاهُ في الماء وتَخلَّصنا منه... فساهَمَ «يونس» مع المساهمين، فوقعت عليْه القُرْعَةُ... وأُلْقي في الماء..!

وتلطَّف به الله ـ سبْحانَهُ وتعالى ـ فقيَّض له حُوتاً ضخماً ابتَلَعهُ... وفي جوف الحوت عانى «يونس» من **الظلمات**، وأدرك ما به من بَلْوى، فتوجَّه إلى الله ـ تعــالى ـ بالدُعاء: ﴿ **لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾...! وكان فى دُعائه حرارة ورجاء واستغفار...!.

ثُمَّ تلطَّفَ به أَيْضًا..

﴿ **فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ** ﴾.

﴿ **فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾.

وأمر الله ـ تعالى ـ الحوت أن يلْفظه من بَطْنِه...بعد أَن أقام فيه أياماً ولَيالي.

وخَرَج «**يونس**» إلى الشَاطئ وقدَ تَهرأ جلدهُ.. ﴿**فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ**﴾ عليلاً ضيِّق الأنْفاس...!

وتلطَّف بِهِ ربُه ـ سبحانه وتعالى ـ أَيْضاً..!

فأنبت إلى جانبه شجرة من يقطين عريضة الأوراق، تُظلُّهُ من حرارة الشمس وتحميه من وَهَجِها ولَهَبها...ولا يَقربُها الذُباب والحشرات، الطائرة والزاحفة، حتى استْعادَ بعض عافيته...!

ثم قَصَد إلى أَهْل «نينوى» حَسَب ما أُمِرَ بِهِ من الله ـ تعالى ـ رسولاً ونبيا..وكانوا مائة أَلَف، أو يزيدون ...!

كان أَهْل «نينوى» على جانب كبير من الفِطْرة وَالْبدائية. . . فدعاهم إلى التَّوْحيد، ونَبْذ الفواحش، وأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر، وأنذرهم بعذاب من الله ـ تعالى ـ إِن لم يستجيبوا. !

فبادروا من فورْهم إلى الإيمان والتَصْديق،ولم يَتَعنَّتُوا. . . فَرَحِمهَم الله ـ تعالى ـ.

﴿ فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [يونس: ٩٨].

●●●●●

(موسى وهارون)ـ عليهما السلام ـ

لم يترددَ اسمْ نبَى مِن أنبياء الله ـ تعالى ـ ورسُله في القرآن الكريم كما تردد اسم « **موسى** » ـ عليه السلام ـ فقد ذكر في مقدار ستةٍ وثلاثين موضعاً . . !

والآيات كثيرة، فى سور مُتَعددة، وكلَّها تحكي قِصَّة «**موسى**» ـ عليه السلام ـ يتَمم بَعْضها بَعْضًا .

اسم أبيه «عِمْران» ، وينتسِبُ إلى«لاوي» ابن« **يَعْقوب** » ـ عليه السلام ـ واسم أمِّه «يُوكابد»؛ تزوجها «عمـران» فولدت له « **موسى** » و« **هـارون** » ﴿ وكُلاً جعلْنَا نبِيًّا ﴾[مريم :٤٩] .

أمْضى «بنو إسْرائيل» في مصر عشرات السنين، منذ أيام « **يوسف** » وأبيه «**يعقوب**»، ومرَّ على حُكْم مِصْر فراعنةٌ كثيرون،ولم يلْق«بنو إسْرائيل» اضطهادًا، حتى كان زَمَنُ «فِرْعَوْن» ـ موسى ـ الذي كان متجبِّراً متكبِّراً، يَدَّعي الألوهية والرُّبوبيَّةَ.

ولقد سخَّر «بني إسرائيلِ» في الخدمات الشاقَة. . . وأرهقهم وَأَذَّلهم.

ولقد قيل لـِ«**فرعَوْن**» يوماً بأن ذهابَ مُلْكِهِ وسُلْطانه سيكونُ على يد واحد من «بني إسْرائيل»، أنبأه بذلك عرَّافُوهُ ومنجِّموه وكهَنَتُه وسَحَرتُه. . !
فارتاع واغْتاظ، وأَمَر بِقَتْل كُل مولْودٍ ذكر من « بني إسرائيل» يولد في ذلك العام؛ ويستبْقي الإناث أَحْياءً ؛ للخِدْمَةِ والمْتعة .

وكانَتْ أُمّ «موسى» ـ عليه السلام ـ حاملاً، فلما وضعتهُ ذكراً ، خشيَتْ عَلَيْه، فألْهَمَها الله ـ تعالى ـ أن تَضَعَهُ في صندوق خَشَبِي، وتربطه بَحْبلٍ، وتقذف الصُّندوق في الماء، لتخفيه عن الأعْينُ ، فإذا أرادت إرضاعَهُ شدَّت الحبْل، وأخرجت وليدها وأرضعتْه ، ثم أعادَتْهُ إلى مكانه. . . !

وَطمأنها الباري ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ بأَنَه يردُّهُ إليها، فلا تَجزعي ولا تخافي ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص:٧].

وانْفَلَتَ الحبْل يَوماً، وسار الصندوق طافياً على وجْه الماء، فالْتَقطَهُ وصيفاتُ بنت «فرعَوْن» فَحَمَلتهُ إلى القصر، فلما رأَتْه امرأةُ «فِرْعَوْنَ» انْشرح قلبُها له، وَحَضَنَتْه. . . أما «فِرْعَوْنَ» فاغْتاظ وأراد قتْله، فاستَشْفعَتْ زوجة فرعون وتَضرَعَتْ، وقالت لزوجها: ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾ [القصص: ٩].

وكانا «فرعون» وامرأتُه محرومين من الولد.

فسكت «فرعَوْن» ورضى مُكْرهاً.

أما «أُمّ موسى» فقد طلبت من ابنة لها أَنْ تتبع خَبَر أخيها ، فعلمت أَنّه في دار «فَرْعَون» ناجياً سالماً.

ولم يَقْبل الوليد «موسى» ثَدْي أَحَدٍ من المراضِع. . فخيف عليه، وكانت أُخْتهُ تتردد على القْصر فقالت لامرأة «فرْعَـوْن»: ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾ فأجابوها بالإيجاب، فكانَتْ أُمُّه تُرْضعهُ، ثم تُعيدُهُ إلى بيْت «فِرْعَوْن» ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ

اللّه حقّ ولكنّ أكثرهم لا يعلمون ﴾ [القصص: ١٣].

وجُرِّبَ «موسى» ـ عليه السلام ـ بيْن جَمْرةٍ متوَقِّدَة متوهِّجة، وبين تَمْرةٍ سَمراء صالحة، فامتَدَتْ يدُهُ إلى الجمْرة ليأكُلَها. . . فَلَسَعْت لسانَهُ، فأصيب بعاهةٍ في اللَّفظ.

ثُمَّ كبرَ وشَبَّ ونَضَج. . . فَتياً قوياً، متيناً. . . ! وذلك فَضْل اللّه عليه ، يَصْنَعُهُ على عيْنه، ورعاهُ فآتاه علْماً وحكْمةً. . . ﴿ ولَمَّا بلَغَ أَشُدَّهُ واسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْماً وعِلْماً وكَذَلك نَجْزي الْمُحْسِنين ﴾ [القصص:١٤].

وفي يَوْم بينما كان يَتجْول في الأسْواق صادفَهُ «إسرائيلي» من قَوْمه، يتنازع مع «قبطيٍ» من أَهْل مِصْر، فاسْتَنْجدَهُ الذي هو مِنْ شيعته. . . فوكَزَ «موسى» بقبضتهِ «القبطيَ» فأرداه قتيلاً. . . !

ثم إنه ندِم على ما فَعل واستغاث ربّهَ ـ تعالى ـ أن لا يكون بعدها ظهيراً للمجرمين.

وفي اليوْم التالي رأى نَفْس الإسرائيلي ينازع قِبْطِيا آخر، فاستغاثه الإسرائيلي كما فَعَل بالأمْس . .فأخذتَه الحمية وأراد أنَ يَبْطش بالقِبْطي ، وقال للإسرائيلي: ﴿ إنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴾. . . فظن الإسرائيلي أنَّه يريد قَتْله، فقال له: ﴿ أتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْس.. ﴾ .

فانطلق الفرعونى إلى قومه وأخبرهم بـ «موسى»، فَأَرْسل «فرعَوْنُ» الشُرط لإلقاء القبض عليه ومُحاسَبته. . إلا أن رجُلاً مؤمناً من آل «فرعوْن» كـان محباً لـِ «موسى» بادَرَ إليه، وأَنْذره وَحَذرَه. . . !

فَهَرب «موسى» ـ عليه السلام.

● ولكن إلى أيْن..؟

اتجه شَرْقاً.. وظلَّ يمشي أياماً وليالي حتى حفيتْ قدماه، واصْفَر لوْن وجْهه، إذ لم يكن له غذاءٌ إلا العُشْب وورق الشجر.

حتى بَلَغَ ديار **«مدْين»**.. واستوقَفَه هَنَاك منظر الرُعاةِ يَسْقُون ماشيتهم إذ ينْزَعْون الماء بالدلِاء من بئر، ووجد من دُونهم فتاتيْن تزودان ماشيتهما ولا تقتربان من البئر...، فسألهما عن شأنهما، قالتا: لا نسقي حتى ينتهي الرُّعاة من سَقْيهم حتى لا نتزاحم معهم، وليس لنا من مُعين، فإنّ أبانا شيخ كبير عاجز، لا يَقْوى على العمل...

فَتقدَّم «موسى» ـ عليه السلام ـ ونَزَع لهُما الماء... وسقى لهما، وشَربَ...، فانصرفتا عَنَه شاكرتين، وَجَلَس هو تحْت ظِلَ شَجَرةٍ يستروْح **﴿فقَال ربِ إنِي لمَا أَنزلْت إليَّ منْ خَيْرٍ فقِيرٌ﴾** [القصص:٢٤]، وحَمَد وشكر واستَغْفر.

وبينما هُوَ على حاله تلْك جاءَتْهُ إحدى الفتَاتَيْن تمشِي في حياء، ثم قالت: **﴿ فجَاءَتْهُ إحْدَاهُمَا تَمْشِي علَى اسْتحْياءِ قالتْ إنَّ أَبِي يدْعُوك ليجْزيَك أَجْر ما سقيت لنا﴾** [القصص:٢٥].

فقام معها يمشي وراءها...ثم قال لها: امشْ خلْفي وأرشديني إلى الطَّريق..!

لقد أبي على نَفْسه ـ عليه السلام ـ أَنْ يَنَظُرَ إِلِيْها نَظْرةً تُحرِك فيه نَزْغة الشَّيْطان..!

فلما دَخَلَ على الشَّيْخ وسلَّمَ، قَصَّ عَلَيْه قَصته. . ، فقال له الشَيْخ: ﴿ لا تخف نجوت من القوم الظالمين ﴾ [القصص: ٢٥].

وبعد أن أكل «موسى» وشَبِعَ، واطمأنَّ. . ، قالت إحدى ابنتيْ الشَيْخ لأبيها ـ وهي التي دَعَتْه ـ: يا أبت استأجرْهُ لرعْي ماشيتنا ليكفينا مؤنة هذا العمل﴿إنَّ خَيرَ منِ استأْجرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴾ . . فقال الشيْخ: ما يدريكِ ما قوته وأمانته؟ فقالت: أما قُوته فما رأيْتُ منه حين سقى لنا، لم أرَ رجلاً قط أقوى منه في السَقْي، وأما أمانته فإنه نظر حين أقبلتُ إليه وشخصْتُ له، فلما علم إني امرأة صَوَّب رأسه فلم يرفعه ولم ينظر إليَّ حتى بلَّغتُه رسالتك، ثم قال: امْش خلْفي وانْعتي لي الطريق. . ولم يفعل ذلك إلاّ وهو أمين.

ارتاحت نفس الشيخ لما سَمِعَ، ثم رغب في مصاهرة «موسى»، فقال له:

﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [القصص:٢٧].

وقبلَ «موسى» وتَمَّتَ المصاهرة. . . وعَمِلَ «موسى» في خدمَة الشَيْخ، وهَنِئَ بزوجتِه، حتى إذا وافى الأجل المضرب بَيْنهما استأْذَنَ في الْعَوْدَة إلى مصْر. . . فأذنَ له، ثم ودَع وَانْصَرَف بأَهْلِه ومعه ماشيتهُ، وبيده عصاهُ، يتوَكأُ عليْها، ويهش بها على غَنَمه.

وفي ليْلة باردة ضَلَّ الطريق، فأراد أن يُشْعل ناراً ، فلم يتمكن فتعجب، ثم رأى عن بُعد ناراً ﴿ فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾ [طه: ١٠].

ولما اقْترب من النَار وجدها تشْتعل في شَجَـــرة... الشجـرة لا تحترق والنار لا تَنْطفئ فوقف مُتعجبا..!

ثم سَمِعَ نداء.. ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ (١٣) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٢ ـ ١٤].

فوقف مَذْهوشاً.. جامداً فى مكانه لا يتحرَّك..!

ثُمَّ نُودي ثانية :﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ (١٨) قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ (١٩) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾ [طه: ١٧ـ ٢٠].

هَلَع «موسى» وخاف وولَى يريد الْهَرَبَ.. فجاءَهُ النَّداء ثالثة:﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ (٢١) وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ (٢٢) لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴾ [طه: ٢١ ـ٢٣].

فارتدَّ «موسى» ولَفَّ يَدهُ بكمِّ قميصه وأَدْخَلها فى فَمِ الحيَّةِ فعادَتْ عصاً كما كانَتْ..،ثم أدْخل يده في جناحِهِ ـ في جَيْب دِرْعه..وأخرجها، فإذا هي بيْضاء للناظرين تَشعُّ ضياءً وبهاءً، من غيْر علَّة ولا مرض..!

فَاْطمأنَّ وهَدَأ..، وأَحَسَّ بأنَّه قَد دَخَلَ مرحلةً جديدةً في حياته..! لقد كان من قَبْل يُصْنَعُ على عيْن الله ـ تعالى ـ خُلُقاً وإيماناً،وها هُو الآنَ مُكلَّف برسالة..!

وسَمِع النداء يقول:﴿ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [القصص:٣٢].

واستدرك موسى فقال: ﴿ رب إني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون (٣٣) وأخي هرون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني إني أخاف أن يكذبون (٣٤) قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون ﴾ [القصص: ٣٣ ـ ٣٥].

وهنا بدأت نبوة «هارون» مع أخيه «موسى» ـ عليهما السلام ـ.

وكانت مُهمتُهما محصورة في أمرين اثنين: دَحْض افتراء «فِرعَوْن» بادعائه الأُلُوهية، وتخليص «بني إسرائيل» من ظَلَمِه وبَطْشه والخروج بهم من مِصْر إلى أرض المعاد (فلسطين).

عادَ «موسى» إلى مصر ولَقى أَهْلَهُ، وبلَّغ أَخاهُ «هارُون» مما أُوحي إليه وأنَّه شريك معه في الرسالة وتبليغها.

وجاءَ اليوم الموعود ، ودخل «موسى» و«هارون» على «فِرْعَوْن».

﴿ قَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٤) حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الأعراف: ١٠٤، ١٠٥].

وقال فِرْعَوْن هازئا ساخرًا: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ (٥٠) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ (٥١) قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى (٥٢) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ (٥٣) كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ (٥٤) مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه: ٤٩ ـ ٥٥]. . . !

فأعرض فرعَوْن وأبى و﴿ قَالَ لِمَنْ حَو ... تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ ...

آبائكم الأولين (٢٦) قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾ [الشعراء:٢٥ ـ ٢٧].

ثُمَّ استبد وطغى وقال: ﴿ يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري﴾ [القصص:٣٨]

وسأل «موسى» عن بينة ما جاءَ به. . ؟! فألقى عصاهُ فإذا هي حيَّةٌ تسعى، ثم أَخْرَجَ يده من جَيْبِهِ فإذا هي بيضاءُ للناظرين، أَعْشَتِ الأَعْيُن بضيائها. !

عندئذٍ اتهم فِرعَوْن «موسى» ـ عليه السلام ـ بالسِّحْر، وكان قد اتَّهمه من قبْل بالجنون. . . ! وأَمَرَ أن يحشر له كُلُّ السَّحَرَةِ في ديارِهِ وبلادِهِ، ليردُّوا على افتراء «موسى» وكذِبهِ وسِحْرِه. . !

● وكان الموْعد **يوم الزِّينة** وهو يوم عيد عند الفراعنة، وأن يُحْشر الناسُ ضُحي. . . !

واجتمعت الجموع من كل حدب وصوْب. . . وراوَدَ السَّحَرة «موسى» هل يُلقون هُم أولاً أم هُوَ فقال: بل أَلْقُوا أنتم . . . فألقوا حبالهم وعِصيّهم فإذا هى يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى. . . تَسْعى هنا وهناك. . ، فَأَوْحَىَ في نَفْسِهِ خيفةً «موسى» وعلا صَخَب الحضورِ فَرَحاً. .

﴿ قُلْنا لا تخفْ إنَّك أَنت الأعْلَىٰ (٦٨) وأَلْق مَا في يَمينك تلْقفْ ما صَنَعُوا إنَّما صَنعُوا كيْدُ ساحرٍ وَلا يُفْلحُ السَّاحرُ حيْثُ أَتَىٰ ﴾ [طه: ٦٨ ـ ٦٩].

وألقى «موسى» عصاه فإذا هى حية عظيمة وعنق كبير وجعل الناس يهربون خوفاً منها وأقبلت على ما ألقوه من الحبال والعصى فإلتهمتهم جميعاً ولم يبق منها شئ فذهلوا جميعاً. .

● عندئذٍ أُلْقى السَّحَرة سُجَّداً. . . وقالُوا: آمنا بربِّ« هارون وموسى». . !

وتهدَّدهم «فِرعَوْن» بالصَّلْب وَالْقَتْل؛ لأنهم آمَنُوا قبْل أن يأْذن لهم..
فقالوا: ﴿ لن نُّؤْثرك علىٰ ما جاءنا من البيِّنات والَّذي فطرنا فاقْضِ ما أنت قاضٍ إنَّما تقْضي هذه الْحياة الدُّنْيا (٧٢) إنَّا آمنَّا بربِّنا ليغْفر لنا خطايانا وما أكْرهْتنا عليْه من السِّحْر واللَّهُ خيْرٌ وأبْقىٰ ﴾ [طه: ٧٢ ـ ٧٣].

واستمرَّ فِرَعونُ في طُغْيانه واسْتبداده، والتضييق على «بنى إسْرائيل» بالذبح والقتْل والتَسْخير...، ثُمَّ بغى وَقَرر قتْل «موسى» والخلاص منْهُ.

وتتابعت آيات الله ـ تعالى ـ على يد «موسى» ـ عليه السلام ـ على فِرْعَوْن وملئه، فكانوا كلما ألـمَّت بهم مُلِمَّة ونزلت بهم نازلة جاؤوا «موسى» ضارعين أن يَسْأل ربَّه ليزيل عَنْهم العذاب، فيؤمنوا...!

● الجدْبُ ...والطوفان... والجراد ... والقُمَّل ... والضَفادع ... والدَّم... والطَمْس على الأموال...!

وما أن يُرفَع عنهم العذاب بفضْل من الله ـ تعالى ـ حتى يعودوا كما كانُوا..! ﴿ ولَقدْ أخذْنا آل فرْعوْن بالسِّنين ونقْصٍ مِّن الثَّمرات لعلَّهُمْ يذَّكَّرُون (١٣٠) فإذا جاءتْهُمُ الْحسنةُ قالُوا لنا هذه وإن تُصبْهُمْ سيِّئةٌ يطَّيَّرُوا بمُوسىٰ ومن مَّعهُ ألا إنَّما طائرُهُمْ عند اللَّه ولكنَّ أكْثرهُمْ لا يعْلمُون ﴾ [الأعراف: ١٣٠، ١٣١].

وبيَّتَ «موسى» ـ عليه السَّلام ـ أَمْر خُروجهِ مِنْ «مِصْر» مع قَومِهِ «بني إسرائيل»، هروباً من ظُلْم «فِرَعَوْن» وَبطْشه.

ولَحقهم «فِرَعون» بِجَيْشه وجُنْده..حتى بات قريباً منهُم عند **الْبَحْر الأحْمر** عند خليج السويس، وكان ذلك مع شروق الشمس.

﴿ فلمَا تراءى الجمعان قال أصحاب موسىٰ إنَّا لمُدْركُون (٦١) قال كلاَّ إنَّ معي ربِّي سيهْدين (٦٢) فأوحينا إلىٰ موسىٰ أن اضرب بعصاك الْبحر فانفلق فكان كُلُّ فرْقٍ كالطَّوْد الْعظيم﴾ [الشعراء:٦٢ ـ ٦٣].

عزيزى القارئ..

إن الذي عَطَّل خاصيَّة الإحْراقُ بالنار لـ« إبراهيم» ـ عليه السلام ـ هُو الذي عَطَّل خاصية السِّيولة للماء فَجَعَلها تَجْمد وتَفْترق... هو الله الذى لا إله إلا هو، صاحبُ الأمر والنَّهْي، القادر القاهر، الذى يقول للشيء كُنْ فيكون... فسبحانَهُ بيده ملكوتُ كل شيْء.

وعَبَر « موسى» وبنو إسرائيل في الطريق الْيَبَس ... الجاف..، حتى إذا ما رآهم «فِرْعَوْنُ» تَبِعَهُم بجيْشِه وجُنْدِه... فلْما تُوسَّط الطريق أَطبَقَ عليه الماءُ من كل جانبٍ فكان من المغْرقين.

فلما أدْركه الغَرقُ ﴿ قال آمنتُ أَنَّهُ لا إلَه إلاَّ الَّذي آمَنَتْ به بَنُو إسْرَائيل وأَنَا منَ الْمُسْلمينَ (٩٠) آلآن وقدْ عصيْت قبْلُ وكُنت من الْمُفْسدين﴾ [يونس: ٩١].

● **لحظةٌ لا يَنْفَعُ نَفْساً إيمانُها!!!.**

وفي «سيناء» وقد نجا بنو إسْرائيل... عاوَدَتْهُم وثنيَّتُهم التى ألفوها فى مِصْر على عهْد الفراعنة، إذ مَرُّوا على أُنَاسٍ يعْكفون على أصنامٍ لهم يعبدونها من دُون الله، فقالوا لـ « موسى»: ﴿ اجْعل لَّنا إلهًا كما لهُمْ آلهةٌ قال إنَّكُمْ قوْمٌ تجْهلُون (١٣٨) إنَّ هؤلاء مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فيه وباطلٌ مَّا كانُوا يعْملُون (١٣٩) قال أغيْر اللَّه أبْغيكُمْ إلهًا وهُو فضَّلكُمْ علَى الْعَالمين﴾ [الأعراف: ١٣٨ ـ ١٤٠].

وشكوا لـ«موسى» حَرَّ شَمْس «سيناء» ، وهُم لا بيُوت لهم ولا ظلال، فأرسل الله ـ تعالى ـ عليهم الغمام يُظِلُّهم. . !

وشكُوا إليه نفادَ أقَواتهم وزادهم. . . فأرسل الله ـ تعالى ـ عليهم المنَّ والسَّلْوى(١) غَذاءً طيّباً كريماً. . !

وشكوا إليه العَطش بقلَّةِ الماء. . فأمر الله ـ تعالى ـ موسى أَنْ يَضربَ صْخَراً بعصاه فانفَتحَتْ منه اثنتا عَشْرة عْيناً ، بِقَدرِ أَسْباطهم وفروعهم، وعلم كُلُ أناسٍ مَشْربهم.

كان «موسى» ـ عليه السلام ـ حتى ذلك الحين يقوم بأعباء النبُوَّة وواجباتها ، ولكنه لم يكُنْ قد تلقَّي الرِّسالة (التوراة والألْواح)، فواعَدَه الله ـ تعالى ـ أن يَصْعد جَبَل «الطور» ويمكث فيه ثلاثين ليْلةً صائمًا قائماً متطهِّراً. . مُسْتعِدا للتَلَقِّي. . !

فغادر مقامه في «بنى إسرائيل» ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

وَهُنا «يَنْفرد» «هارون» ـ عَلَيْه السلام ـ بالمسُؤولية.

وأقام «موسى» فى جَبَل الطُور ثلاثين ليْلةً ، فلما أتمهَا أنْكر على نَفْسه رائحة فمه من الصَّوْم فَأَكلَ بَعْض النبَات ليُطيِّبَ نَفَسَهُ، ثُمَّ أُمِرَ بزيَادَةِ عَشْرٍ. . ؛ لأَنَّ رائحة خلوف فم الصائم أطيبُ عند الله من رائحة المسك، فأتَمهَا أَرْبعين ليْلة.

---

(١) المنُّ : مادَّة حَلْوة المذاق تَتَزَهَّر على وَرَق الشجر ، والسَّلْوى: طائر السِّمان.

وحان الأجل الموْعود فى تلقى الرِّسالة والألْواح . . !

﴿ ولمَّا جاء مُوسَىٰ لميقاتنا وكَلَّمهُ ربُّهُ قَال رَبّ أرِني أنظُرْ إلَيْكَ قَالَ لَن تَرَاني ولَكنِ انظُرْ إلى الْجَبَل فإنِ اسْتَقرَّ مكَانهُ فَسَوْفَ تَراني فَلَمَّا تجلَّىٰ ربُّهُ للْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صعقًا فلَمَّا أفاق قَال سُبْحَانك تُبْتُ إلَيْكَ وأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمنِينَ ﴾ [الأعراف:١٤٣].

وتلقَى ـ عليه السلام ـ من بَعْدُ الألْواح .

﴿ وكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٥].

فى غيْبَتِه تلك . . ظلّلهم رجُلٌ منهم يُدْعى «السامري» اتَخَذَ لهم عَجلاً مصنوع من الذَهَبٍ يدخل الريح في فَمِه ويَخْرُج من دُبره ، وقال لهم : هذا هو إلهكم وإله «موسى» فعكفُوا عليه يعبدونَهُ ويُقدِّسونه ، ولم تُفْلح معهم نداءاتُ «هارون» وتحْذيراته ، حتى إنهم تكاتفُوا عليه وكادوا يَقْتلونه . . !

فلما عاد «موسى» ووجدهم على تلك الحال ، أَلْقى الألواح من يده ، وأَخَذ رأْس أخيه يجرُّه إليه ، غضبان أسفا وقال له : ﴿ بئسَما خلفْتُموني من بعْدي أَعَجلتُم أَمْرَ ربِّكُمْ وأَلْقَى الأَلْوَاح وأخذ برأْس أخيه يجُرُّهُ إلَيْه قال ابْن أُمَّ إنَّ الْقَوْم اسْتَضْعفُوني وكَادُوا يَقْتُلُونني فَلاتُشْمِتْ بِيَ الأعْداء ولا تجعلْني مع الْقوْم الظَّالمين (١٥٠) قَالَ رَبّ اغْفِرْ لِي ولأَخِي وأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وأنتَ أَرْحمُ الرَّاحمِين ﴾ [الأعراف: ١٥١]

ثم أمْسَكَ «موسى» بالسَّامرى يُعاتبُه ويحذره : ﴿ قال فما خَطْبُك يا سامريّ (٩٥) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا به فقَبضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أثَر الرَّسُول [1] فنبذْتها وكذلك

---

(١) من تراب فرس «جبريل».

سَوَّلَتْ لِي نفْسي (٩٦) قال فاذْهَبْ فإِنَّ لك فِي الْحَيَاة أن تقُول لا مِسَاس وإنَّ لَكَ مَوْعدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَهِكَ الَّذي ظَلْتَ عَلَيْه عَاكفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (٩٧) إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٥ ـ ٩٨].

واستنهضَ «موسى» ـ عليه السلام ـ هِمَمَ «بنى إسْرائيل» أنْ يتحركُوا نحو الأرض المقُدسة التى وعدهم الله إيَاها. . . !

﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (٢١) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴾ [المائدة: ٢١ ـ ٢٢].

تَقاعَسُوا خوْفاً وجُبْناً. . .، ولم يُطيعُوا. . .، حتى إِنَهَم قالُوا لِـ«موسى» ﴿ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ [المائدة: ٢٤].

ظَلَّ يَدْعُوهم وظلوا يَنْفِرون. . . حتى كانَتْ وفاة «**هارون**» ومن بَعْدهِ «**موسى**» ـ عَلَيهما السلام ـ ! .

●●●●●

(داوود) ـ عليه السلام ـ

بعد «موسى» ـ عليه السلام ـ دَخَلَ «بنو إسْرائيل» أرض فلسطين مع «يُوشَع بن نون»، تلميذ موسى وصاحِبَهُ. . . !

وَسُلِبَ من «بني إسرائيل» تابوت العهْد، وهو صُنْدوق فيه ألْواحُ «التوراة» وصحائفها. . يحملونَهُ معهم في حروبهم لِلتَّبرُّك والاستنْصار على عدوِّهم.

وجاء كُبراءُ «بنى إسْرائيل» إلى نبيّ لهم يُدْعى «صَمُوئيل» يطلبُون إليه أن يُعَين لهم ملكاً قائداً ، يحْملهم على قتال أعدائهم واسترداد تابوتهِم. . . فأجابهم: ما أَظنكم فاعلُون. . فاحْتَجُّوا وقالُوا بل نقاتل فى سَبيل الله. . . وقد أُخْرِجْنا من ديارنا. . . ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ﴾ [البقرة:٢٤٦].

واختار لهم ـ بعد إلْحاحِهِم ـ « طالُوت » ملكاً عَلَيْهم. . . ، فَأَنكروا ذلك وقالوا: ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

وزادهم نبيهم « صموئيل » عِلْماً باختيار «طالوت» ملكاً عليهم ، فقال لهم: ﴿ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[البقرة: ٢٤٨].

وفوجئوا ذات يَوْم بِعَربةٍ «على عجلاتٍ تجُرها بقرة... تحَمل لهُم التابوت فاسْتَبْشروا خَيْراً، وانضووا تحْت لواءِ «طالوت» وسعُوا معه لقتالِ عدوِّهم.

وخَرَج بهم «**طالوت**» لقتالِ أعدائهم الذين كان يقودهم «جالُوت»؛ الذى كان قائداً مَشْهوراً، لا يغالبه أحدٌ فَيَغْلبه.

وأراد «**طالوت**» أن يُنَقِّي جنودَهُ ويصفِّيهم من الأطماع؛ لتكون قلوبهم خالصةً لله ـ تعالى ـ. لا يَبْغون ظُلْماً ولا عَدواناً، ولا ينكصونَ عند اللَقاء.

﴿ **فلَمَّا فصَلَ طالُوتُ بالْجُنودِ قَال إنَّ اللَّهَ مُبْتَليكُم بنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ منْهُ فَلَيْسَ منِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فإِنَّهُ منِّي إلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بيَدِهِ** ﴾ يُريد بذلك اختيارهم على الصَّبْر على العطش ﴿ **فَشَرِبُوا منْهُ إلاَّ قَليلاً** (١) **مِّنْهُمْ فَلَمَّا جاوَزَهُ هُوَ وَالَّذينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لا طَاقَةَ لنا الْيَوْمَ بجالُوتَ وَجُنُوده قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قليلةٍ غلبتْ فئَةً كثيرَةً بإذْنِ اللَّه وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

هنا ـ عزيزى القارئ ـ يبرز اسم « **داوود** » ـ عليه السلام ـ ودوْره..!

﴿ **ولَمَّا برزُوا لجَالُوتَ وَجُنُوده قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** (٢٥٠) **فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحكْمَةَ وعَلَّمَهُ ممَّا يَشاءُ** ﴾ [البقرة: ٢٥٠، ٢٥١].

يَنْتهى نسب سيِّدنا « **داود** » ـ عَلَيْه السلام ـ إلى «**يهوذا بن إسحاق**» ـ عليه السلام ـ فَهُو أَحَدُ فروع الدوْحة الإبراهيميَة..!

كان يومئذ غلاماً فتيًا، راعياً لماشية أبيه، يجيد رمْى المِقْلاع... خَرَج مع

---

(١) قيل: هم بلغوا ثلاثمائة وبضْعة عشر رجلاً، عدة أهْل «بَدْر».

الجيْش غير مُقاتل، بل ليَرقُب أعمال إِخُوتِه الثلاثة الذين تطوَّعُوا مع «طالوت»، وينقُل أبنَاءَهُم إلى أَبيه، كما وصاه.

ورأى«داودُ»«جالُوت» وقد تُوسَط مِيْدان القتَال يجُول بِفَرسه هنا وهناك، ويطلب المبارزة، ولم يجرؤ أحَد من جَنْد«طالوت» على مُواجَهَته. . . فثارتْ حميةُ «داود» والْتهبتْ مشاعِرُه، وتَقَدَّم إلى «طالوت» يستأذنُه في قتال «جالَوت»، فاستصغرهُ. . . وحذَّرَهُ. . لكنَهَ أَصَرَّ. . فَأَلَبَسهُ درْعَهُ وسَمَح له، ودعا له، لكن «داود» خلع الدِّرْع التي أثقلتْهُ عن الحركة ، ثُمَّ تَقَدَّم وبيده مقلاعُه . . .ووقف قريباً من «جالُوت»، وكَلَّمه. . . فاستَحَقره «جالُوت» وشتَمه. . فأخذ «داود» حجراً مما معه ووضَعَه في مقلاعِهِ، ثُمَّ طوَّحَهُ. . فثبَتَ في جَبْهة «جالوت». . . وسالتْ دماؤه ، وسَقط ميتا. . .، وفرَّ من كان مَعَهُ من الجُنْد ، وعظمت منزلة «داود» عند «طالوت» فقدمه على قادته وزوَّجه ابنته وأحبه حبا عظيما وأغدق عليه.

وكان «الملك » كلَّما أراد حرْباً، أو تعرض لِحْرب بعث «داود» قائداً، فما من معركةٍ خاضها إلا وانتصر فيها وهزم عدوَّه، وعاد من المْيدان ظافراً.

كُل ذلك جَعَلَ الناس والشَعب يحبُّونه ويتعلَقونُ به ويلتفُّون حوله، ولقد أثار هذا غيرة «الملك» منه،وبُغَضَهُ لَهُ. . .فكان يُدبر المؤامرات للخلاص منه!

لكنَّ زوجته وأخاها كانا يُحبانِه حُبًّا شديداً فيحذِّرانِه ويقفا إلى جانبِه.

وبلغ بُغض «الملك» لِـ «داود» حَدَّ إعلان الحرب عليه، وتجييش الجُيوش لِقتاله، ولم يكن مع «داود» إلا فئة قليلة من أتباعِه، فلجأ إلى الجبال يحْتمي بها.

ومما يروى فى هذا الصَّدَد أن «الملك» حشد مرَّةً ثلاثة آلاف من الجنْد وخرَج بهم يبحث عن «داود» للإيقاع بِه. . !

وعندما حَلَّ الليْل لجأ إلى كهْفٍ ومعه بعْض رجالِه ليناموا طلباً للراحة والأمان، ولم يكن يعلَم أن «داود» في داخله . . !

وها قد حانت الفرصَة لِـ«داود» أن يتخلَّص مْنِ«الملك». . . وشجعه على ذلك بعض أتباعِهِ وأغروه بقتْل «الملك ». . . . لكنه ـ عليه السلام ـ وبَّخهم ونهاهُم ـ فقطع طرفاً من جُبَّةِ «الملك». . . ثم انطلق. . .

فلما كان الصباح واستيقظ «الملك» لحقَهُ «داود»، وأحاط به وناداهُ فأخبره بأنَّه قد أتيحت له الفرصة للتخلص منه ولكنه لم يَفْعل وفاءً منه ودليلُ ذلك طرف الجبة المقطوع. . .، فنَدِم «الملك» وقال له : أنتَ أبَرُّ مني!!!

وأنْعـم الله ـ تعالى ـ على «داود» إلى جـانب الملك بالنُّبُوةَ، والاختيار والاصْطفاء. . ! فأتاهُ الزبُور ، وَحْياً. .

﴿ وآتيْنا داوُودَ زَبُوراً ﴾ [النساء: ١٦٣].

﴿ ولَقَدْ فضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً ﴾[الإسراء : ٥٥].

كما أنعم الله عليه بنعمٍ كثيرة وعظيمة، إذ سَخر الجبال يُسَبِّحْن مَعَهُ والطَّير أيضاً، فما يَقْرأ مزماراً من مزاميرِه في تمجيد الله ـ تعالى ـ حتى تُرددِ الجبال والطَّيْر معه هذه التسْبيحات والصَّلوات.

﴿ اصْبِرْ عَلَىٰ ما يقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (١٧) إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسبّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ (١٨) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ ﴾[ص:١٧-١٩].

ومما أنعم الله به عليه إلانة الحديد له . . فكأنه بيْن يديْه كالعجينة يكيِّفها كيْف يشاء، فهو أوُل من ابتدَعَ صناعة الدروع السابغات، الموردة ذات الحلقات ، وكانت من قبل صفائح﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴾[الأنبياء: ٨٠].

وأَنْعم عليه أيْضاً بتشديد مُلكِه. . . ذلك أن الله تعالى قوّاهُ على جميع أعدائه، وجعله منصوراً علَيهم، قَبْل المُلْكِ وبعده ـ فما من عدوٍ له إلا وأذعن له، واستَسْلم .

وأيضا . أُوتي الحِكْمة وفَصْل الخطاب، وفضّ المنازعات بالقسطاس والعدْل دْونَ جَوْرٍ أَوْ ظُلْم ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾ [ص:٢٠].

●●●●●

(سُلَيْمانُ) - عليه السلام -

- ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص:٣٠].
- ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ [النمل: ١٦].

ولقد رافق «**سُلَيْمان**» أباهُ «**داود**» - عليهما السلام - وهو لا يزال فتى، غضا. . . ، قد أوتي فَهْماً وعِلْماً وحكمة ، وهُيئ ليكون الوارث العظيم.

ومن مواقفه التي تَشْهد لهَ بذلك أنَّ جماعة اخْتَصُموا عند«**داود**» وبحضور «**سُلَيْمان**» بشأن زرْعٍ أغارت عليه غَنَم قوم آخرين فأبادته ، فحكم «**داود**» بالغنم لصاحِب الزرْع عوضاً. . . فقال«**سليمان**»- وكان ابن إحدى عشر سنة: أرْفق ياأبي - ادْفع الغَنَم إلى أهل الحرْث فينتفعون بألبانها وأولادها وأشعارها والحرث إلى أهل الغنم يقومون عليه حتى يعود كما كان ثم يترادان فوافقه «**داود**»على مارأى، وكانت إلْهاماً من الله تعالى﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾[الأنبياء:٧٩].

ومن فَضْلِ الله على «**سُلَيمان**» تَسْخير الرِّيح له ﴿**فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ** ﴾ [ص: ٣٦]؛ ﴿**وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا** ﴾ [الأنبياء: ٨١].

كما عُلِّم - عليه السلام - منطق الحيوان ، فما من حيوانٍ يصيتُ إلا ويعْرف «**سليمان**» - بما وَهَبَهُ الله - مُرادَهُ ومُبْتَغاهُ. . . ! مَهْما دَقَّ وصَغُر.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ

وأدْخلني برحمتك في عبادك الصالحين ﴾ [النمل: ١٨ ـ ١٩].

● كما سُخِّرت لهُ الجنّ . . ! تطيعهُ وتنفذ أوامره . . بإذن الله.

﴿ ومن الْجنِّ من يعْملُ بين يديْه بإذْن ربِّه ومن يزغْ منْهُمْ عنْ أمْرنا نُذقْهُ منْ عذاب السَّعير (١٢) يعْملُون لهُ ما يشاءُ من مَّحاريب وتماثيل وجفانٍ كالْجواب وقُدُورٍ رَّاسيات ﴾

[سبأ: ١٢ ـ ١٣].

● وكذلك الشّياطين . . كُلَّ بنّاء وغوّاص . . والمقرَّنين في الأصْفاد والأغلال، يُطلقْهم متى شاء إلى حيْث يشاء، في خدْمته. ﴿ والشَّياطين كُلَّ بنَّاءٍ وغوَّاصٍ (٣٧) وآخرين مُقرَّنين في الأصْفاد (٣٨) هذا عطاؤُنا فامْنُنْ أوْ أمْسكْ بغيْر حسابٍ (٣٩) وإنَّ لهُ عندنا لزُلْفىٰ وحُسْن مآبٍ ﴾ [ص: ٣٧ ـ ٤٠]

ولقد قُدِّر لـ «سُلَيْمان» ـ عليه السلام ـ من تسْخير الجنّ له في البناء الضَّخم، ممَا لا تزال آثارُهُ قائمة .

وهذا البناءُ الضَّخمَ فالحجارةِ بحاجةٍ إلى مادَّة تَجْمعه وتَمُسكه فلا يتداعى مع مرور الزَّمن، من أجَل ذلك كانت إسالة عيْن القطْر له، والقطْر هو النحاس الْمُذاب . . ، فإذا مابَرُد جفَ وتماسك واشتد، وشدَّ الحجر إلى الحجر . . !

﴿ وأسلْنا لهُ عيْن الْقطْر ﴾ [سبأ :١٢].

وعندما تَفَقَدَ ـ عليه السلام ـ جموع الطَّيْر فَلمَ يجد بينهما الهُدْهُد، فَتَوَّعدهُ مْتى حَضَر، فلما جاءَه قَال معتذرًا: عَرَفْتُ خلالَ تطوافي في البلاد أنَّ امرأةً في اليمن تحكم أهَلها، الذين يَعْبدون الشمس مِنْ دُون الله . . ولها عرْش عظيم.

فأثاره النَّبأ كيف يعبدون الشمس من دون الله وَقرَّر الإغارة عَلَيْهم إنْ لم يأتوهُ مُسْلمين . . ، وأرْسل مع الهُدْهد رسالةً بهذا المعنى، وأمرهُ أن يُلْقي

إليهم هذا الكتاب في غفْلةٍ منهم. . . !

أما بقية القصة، فإننا قد أوردناها مَفَصَلَةً في سلسلة (قصص القرآن)[1] فيُرجعُ إليها هُناك.

وعاش «سليمان» ـ عليه السلام ـ اثنتيْنِ وخَمْسين سنة، مَلِكًا نبيا، ثُمَّ توفَّاهُ الله إليه هُناك.

وقصة وفاته حكاها القُرآن الكريم، قال ـ تعالى ـ : ﴿ **فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ** ﴾ [سبأ:١٤].

وتفصيل ذلك أَنَّه عليه السلام ـ كان يَدْخُلُ الهيْكل يتعبَّدَ فيه ، أيَاما وليالي ، ومعه زادَهُ طعامه وَشرابَهُ. . !

وحين قُضيَ عليه الموْتُ كانَ يتكئ على عصاً لَهُ (منْسأته)، أما الجنُّ فكانوا ينظرون إليه من الخارج فيرونه ما يزال قاعداً. . . فيظنُونه حيا. . ، فَيَغدُونَ إلى الأعْمال التى أُمروا بها وكُلِّفوا. . . ، خوفاً مِنْ عقابِهِ لهم.

حتى أخذت دابَّةُ الأرض (السُّوسَةُ) تَنْخُر في العصا من أسْفلها ، وتُأكُلَ منها، حتى إذا ما اْختَل توازن «سليمان» عَلَيْها بنُقصانها، خرَّ وسَقَط. . ! عندئذ أَدْركوا مَوْته ـ عليه السلام ـ .

وكان في ذلك آية تكْشف ادعاء الجنِّ بمعرفةِ الغيْب الذي لا يَعْلَمُهُ إلا الله وَحْدَه.

وورثه ابْنه «رحَبْ عام» وتملك مُدَّة سبع سنواتٍ ، ثم تفرقَتْ مملكة «بنى إسرائيل».

●●●●●

(١) اقرأ قصص القرآن ـ دار الإبداع.

(زكريا) - عليه السلام -

﴿ كهيعص (١) ذكر رحمت ربك عبده زكريا (٢) إذ نادى ربه نداء خفيا (٣) قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا (٤) وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا (٥) يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا ﴾ [مريم: ١-٦].

المشهور في نسبِه أنه «زكريا بن بَرْخيا» يَنْتهي إلى «داود» - عليه السلام - كان من عُلماء الشريعة الموسوية، وعلى جانبٍ كبيرٍ منَ التَقْوى، وعلى الرغم من أنَّه كان نَجاراً يعمل بيده ليكسبَ قوته وقوت عيَاله، فقد كانَ من رؤساءِ خُدَام الهيْكل، وتلك وظيفة دينيَّة يتطوَّع لها الأتقياء الصالحون، ولقد حاز «زكريَا» - عليه السلام - مركزاً مرموقاً بَيْنهم، ومقدَّماً عَلَيْهم.

كما اصطفاهُ الله - تعالى - للنُبوَّةِ، فكان مَرْجعاً يُعْتمد عليه، ويلجأُ إليه، ويُسْتَفْتى، ثم يُؤخذُ برأيه.

وكان - عليه السلام - يرى ذَبْذَبةً وتهاوُناً ومروقاً من الدِّين في «بني إسرائيل»، فكان يخشى عَلَيْهم أَنْ يتنكَروا كُلِّيَةً من بَعْدِه...، وقد بَلَغَ من الكِبَر عتيا...، لذا كان يقوم من اللَّيْل داعياً ربَّه، سائلاً إياهُ أن يَهَبَ له وارثاً يقوم بالأَمْر.. خصوصاً وأن امرأتَهُ كانت عاقراً لا تلد...! راجياً وطامعاً أنْ يلبي الله - تعالى - دعاءَه ونداءه.

هنا - عزيزي [illegible] - تتداخَلُ قِصَةُ «زكريا» و«مريم» و«يحيى» و«عيسى»

ـ عليهم السلام .

فقد كان«زكريا» زوْجاً لخالَة «مريم» والأُسْرة بمجموعها أَهْل دين وتقْوى؛ وأما أبو مريم، فقد كان اسْمهُ «عِمْران» وكان منْ رؤساءِ خُدّام الْهيْكل . .

فنذرت «امرأة عمران» أن يَجْعل حَمْلها لله ـ تعالى ـ مُنْقطعاً إلى خِدْمة الهيْكل، ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾[آل عمران:٣٥ـ٣٧]

● وتنافس خُدّام الهيكل: أيَهم يكْفل «مريْم»!؟

ثم استَهُموا واقترعُوا، فكانت القرْعة من نصيب «زكريا» ـ عليه السلام ـ، وكان ذلك تدبير من الله ـ تعالى ـ فـ« زكريا » زوْج خالتها، والخالة بمنزلة الأُمّ كما جاء في الحديث الشريف على لسان سيدنا رسول الله ﷺ .

وكانت «مريم» ـ عليها السلام ـ مُتعبِّدَةً مُتَبلّةً، مُتعلَق قَلبها بالله ـ تعالى ـ الذى اختارها واصطُفاها، تقضي معظم وَقْتها فى الصلاة والمناجاة.

وكان «زكريا» ـ عليه السلام ـ لا ينقطع عن زيارتها في محراب عبادتها، يتفقَّد أحوالها، ويطمئن عليها ، ويلبى رغباتها.

وكان يَعْجب لتوفُر الرِّزق من الطعام والشّراب بَيْن يَدَيْها ، فيسْألها : من أيْن لك هذا؟وهَلْ جاءَك أَحَدٌ بِهِ أوْ أَحْضَرهُ إليك؟ ومن هُوَ؟

﴿ كُلَّما دخل عليها زكريَّا الْمحْراب وجد عندها رزْقًا قال يا مرْيمُ أنَّىٰ لك هذا قالتْ هُو منْ عند اللَّه إنَّ اللَّه يرْزُقُ من يشاءُ بغيْر حساب ﴾ [آل عمران: ٣٧].

عِنْدئذ تبهتْ كُل مشاعِر الرجاءِ الأمل في نَفْس « زكريا »، أن يرزقه الله ـ تعالى ـ بالْولَد . . .، رغم شيخوخته وعُقم امرأتِه: ﴿ هُنالك دعا زكريَّا ربَّهُ قال ربِّ هبْ لي من لَّدُنك ذُرِّيَّةً طيِّبةً إنَّك سميعُ الدُّعاءِ ﴾ [آل عمران: ٣٨].

● واتَّجه إلى المحراب، وقام لُيصلِّي ويَدْعو. . . . !

﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٩].

﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٩ ـ ٩٠].

وسَمِع « زكريا » ـ عليه السلام ـ النِّداء بَعْد الدعاء، فقال: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾ [مريم: ٨].

فجاءه الجواب القاطع: ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾ [مريم: ٩].

فسمع وأطاعَ. . وتذَكَّر . . وتدبَّر . . . ثم قال: ﴿ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (١٠) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ(١) إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [مريم: ١٠ ـ ١١].

---

(١) أشار ولم يتكلَّم.

وتَمَّتْ كلِمَة ربِّك صِدْقاً وعدْلاً وحقا، وحَمَلَتْ«زوجته»؛ وبعد تمام الحمل وَضَعَتْ، وكانت تَسْمِيةُ المولود « يَحْيى » من الله - تعالى - وكُلِّفَ مُنْذ الصِّغَر . . ﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (١٢) وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا (١٣) وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا (١٤) وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم: ١٢ - ١٥].

●●●●●

(يحيى) - عليه السلام -

وُلِدَ «يحيى» ـ عليه السلام ـ على الصِّفات التى ذكرها الله ـ تعالى ـ فيه، حكيماً فى أَقْواله وأَفْعاله؛ وعلى قسْط كبيرٍ منَ التَّقْوى.. والعبَادَة والزُّهْد، باراً بوالديْه اللذين قاربا فراق الدُّنيا، وبلغا منَ الكبَر عتيًا...، يطيعهُما وَيَحْنو عَلَيْهما، ويوفّر لهما كُل أَسْباب الرَاحَة والهناءة.

تلْك كانَتْ معالم طُفولته وصَباه...!

أضف إلى ذلك علْمه الغزير بالشّريعة، فكان مَرْجعاً فيها، وسيدًا.. ولم تكن له رغبة في النّساء، فَلَمْ يتزوَج..، وعاش أَكْثر حياته في البرارى يَتأمَّل خَلْق الله ـ تعالى ـ فيسبِّح ويُقدِّس، ويتَغذى بورق الأشجار والجراد ويشْرَبُ من مياه الأَنْهار ، وعَسَل النَحْل.

وتَسْكُتُ مصادر التاريخ عن بقيَّة حياته ـ عليه السلام ـ إلى أَن قَضى شهيداً قُطعَتْ رَأْسهُ وقُدمَتْ مَهْراً لنَزْوَة مخالفة لأَحكام الشريعة.

وتفصيل ذلك أن أحد حُكام فلَسْطين ويقال له: «هيرودوس» كانت له بنتُ أخٍ تُدْعى «هيروديا» وكانت بارعة الجمال...فأراد عمُّها أَنْ يتزوَّج منها وكانت البنْتُ وأُمها ترغبانِ في ذلك وتحبّذانه..!

فَسئُل «يَحْيى» ـ عليه السلام ـ ليُفْتيَ في ذلك، فأجاب بأنَّه محَـرَم مـن الله ـ تعالى ـ وعارض هذا الزّواج...!

وفيِ يَوْمٍ زينَّتها أُمُّها أَعْظَم زينةٍ وأَبْهاها، ودَفَعَتْها لَترقُص بَيْن يدي عمها

الحاكم، ففعلت ، واشْتَدَّ افتتانُهُ بها . . ، ثم طلب إليها.أن تتمنّي أى شىءْ تريده، ينفَذُهُ لها . . . ،فقالت :رأْس « يَحْيى بن زكريا. . ! وكانت قد اتَفَقَتْ مع أمها على ذلك . . . !

فَفَعل الحاكم ما أَرادَتْ . . فَقُبِض على « يَحْيَى» وقُطعَتْ رَأْسُهُ، وَحُمِلَتْ الرأْس على صينيَة من فِضَة، وقُدمَتْ مَهْراً لِـ «هيروديا» وتمَّ الزواج.

وعلى مذبح الشُهْوة قُتِلَ نبيٌّ. . . !

وكم من نبىٍّ قَتَله اليهود. . . ! وكم من نبىٍّ تنكَّروا له وكذَّبُوه!!؟

كما قُتِلَ « يَحْيَى» ـ عليه السلام ـ أُلْحِقَ به أَبوهُ « زكريّا. . . !

إذْ طاردُوهُ ، وهَرَب منْهُم. . . ، حتى لَجَأَ إلى جَوْن شَجَرة يختبئ فيها، فأدركوهُ، وقد ظَهَر طَرَفُ ثَوْبِه خارجاً منها، فجاؤوا بمنْشار ونَشَرُوها عَرْضاً . . ، حتى إذا ما وَصَلَ المَنشار إلى جَسَد « زكريا حتى فُصِلَ أعلاهُ عن أَسْفَلِه... ومات أَيْضاً شهيداً.

●●●●●

(عيسى) ـ عليه السلام ـ

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦) قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٤٥ ـ ٤٧].

﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٢ ـ ٤٣].

نَشَأَتْ «مريم» ـ عليها السلام ـ نشأة طُهْر وعفاف، وتقْوى وعبادة، واسْتغراق فى الاتصال بالله ـ تعالى ـ وكرَّسَتْ حياتها خالصةَ من كُل رَغْبة في الدُّنيا، إلى الله وَحْده..! فكان ذلك هُو الاصطفاء الأوَل..!

ثم اصطفاها الله ـ تعالى ـ لِتكون وابْنها آيةً من آياته الدّالة على طلاق قُدْرته ومشيئته سبْحانه!

تَحْمل بِـ «عيسى» ـ عليه السلام ـ من غَيْر أَبٍ...!

ذلك أنَّ الذى وَضَعَ النَاموس هو الذى يَخْرِقُه وَحْدَه...! ولا يُسْأَل عما يَفْعل.

أَلَمْ تَرَ إلى قَوْل الله ـ تعالى ـ في الرَّد على المشككين والمكذبين والمبْهورين بتلك المعجزة ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٥٩] ليقطع دابر الوهْم ويَرُدَّ السَّادرين في الغيِّ والضلال إلى الحق وإلى صراطٍ مُسْتَقيم.

وبينْما «مريم» ـ عليها السلام ـ في أصفى حالاتها في الركوع والسجود والتَّبتُّل، جاءَها «جبريل» ـ عليه السلام ـ، متمثَّلاً لها بشراً سويًّا... إنْساناً دَخَلَ عليْها في خَلوتها، فارتاعَتْ وَجَزَعَتْ... وظَنّته: يريد بها سوءاً، فاستعاذت منه قائلةً ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ [مريم: ١٨].

فقال لها مُطْمئناً: ﴿ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا ﴾[مريم: ١٩].

فازدادت اسْتغراباً وتعجُباً: ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ [مريم: ٢٠].

فهَوَّنَ عَلَيْها وهَدهَدَ من روْعتها وقال: ﴿ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم: ٢١].

ونَفَخَ «جبريل» ـ عليه السلام ـ في جَيْب دِرْعها ... فكانَ الحمْل بـ «عيسى» ـ عليه السلام ـ لكنَّها ـ عَلَيْها السلام ـ ابْتعدتْ عن مُجْتَمع الناس، وانْتبذت مكاناً قصياً ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ [مريم: ٢٢]، وتوارَتْ وهى فى هَمٍّ وغَمٍّ وحُزْن..!

وعندما أتمَّت الحَمْل وحـان أوانُ الولادة والوضع، واشْتَدَّ عليها المخاض (الطَلْق):

﴿ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾ ندماً ويأساً، وخَشْيةً مما ستُلاقيه لكنها أقوال الناس، وافْتراءاتهم، وطعْنهم..!

لكنها جاءَها صَوْتٌ فى تَحتها يُناديها ويَقُول: ﴿ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾[مريم: ٢٤ ـ ٢٦].

كان ذلك فى «بيْت لَحْم».. وكانَت النَخْلَةُ فى غَيْر موْسم عطاء... ولكنها هيئت لـ« مريم»، فَصدعت وهَزَّتْ...، فتساقط عَلَيْها الرُّطب، وهو أَوْل بواكير البَلَح، حُلْو المذاق ... مَغَذ...، خاصةً للنَّفساء..، فأكَلَتْ... ثُمَّ شربَتْ من الرى الذى أُجْرى لها، ماءً عَذْباً رقراقاً..!.

●ثُمَّ لفَّت المولود في خرْقةٍ ووضَعَتْهُ فى مزودٍ ...، كأنَهَ المْهد.

●ثمَّ جاءَتَ به قَوْمها تَحملُهُ ...!

فارتاعوا لما رأوا..، وزُلْزِل بهم..، لما كانوا يَعْلمونَهُ من عفَّتها وطهارتها وقداستها، وعبادتها..فاتهموها، وقالوا:

﴿ يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ(١) مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٧ ـ ٢٨].

وحيث إنها ـ عليها السلام ـ قد أُمِرَت بالصَوْم عن الْكلام ومُخاطبة النَّاس فى هذا الأَمْر أشارَتْ إلى « عيسى» الطفل المولود الرضيع.

﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ !!![مريم:٢٩] أتسْخرين مِنا، وتهزئين بنا، مع فِرِيتِكِ وخطيئتك..!

●وتكامَلَت المُعْجزة، وأخذتْ فَصْلاً جديدا..!

وردَّ عَلَيْهم المولود الرضيع عيسى فقال : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾[مريم :٣٠ ـ ٣٣].

---

(١) ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ كناية وليس حقيقة : «لما هُما عليه من الطّهارة والقداسة والعفاف».

لكنَّ كُهَّان اليهود وأحبارهم، وطغاتهم لم يأْخذوا بهذا الكلام، وظلُّوا على اتّهامِهِم لـِ «مريم » ـ عليها السلام ـ بِالزّنا. . !

﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين﴾ [المؤمنون:٥٠].

ويُروى أَنَّ «هيرودوس» حاكم فلسطين والشام الرومانيّ، قد أُنْذِر بهلاك مُلْكِه وسُلْطانه على يد مِولودٍ فى «بني إسْرائيل» مِنْ نَسْل «داود »، يولَدُ في «بيْت لَحْم». فأمَرَ بالْبَحْثِ عَنْه وقَتْله. . . !

على الصراط السويِّ من التَقْوى والعبادة والحكمة كانت نشْأة «عيسى » ـ عليه السلام ـ ، نشأةً محمودة لا غبار عليها، وكان غيوراً ـ شديد الغيرة ـ على الدين منذ صِغَرِه ويفاعَتِه، حريصاً على تفهُم حِكَمه وأَسْراره، ولا يهابُ مجالس العُلماء . . ، فقد كانت بصيرتُه متَصلةً بالله عَزَّ وَجَلَّ.

ولقد ابتدَأتْ نُبُوتهُ عليه السلام ـ على أرْجَح الروايات ـ وهو فى سِنَ الثلاثين مِنْ عَمره. . . !

قيل: إنّه كان مع أُمِّه «مريم » عليها السلام ـ في «جبل الزَّيْتون» يجنُونَ قطافهم، وعند الظهيرة وقف يُصلِّى (يَضْرَعُ ويَدْعو) عندها تنزلت عليه ملائكة الرحْمن، يتقدَّمها « جبريل » ـ عليه السلام ـ ويَشَّرَهُ بالنبوَّة، وألْقى في روْعه آيات من «الإنجيل».

فاسْتنار بها قلْبُهُ،واستضاءَ بها فؤادُه، وَبَدَأَ بها سعْيهُ في النّاس، ويَدْعُوهم ويهديهم، ويُوَجّههم.

وانْصَرف عن أُمَّه إلى ربَّه وأُمّته.

وكان «بنو إسرائيل» قد انحرفوا انْحرافاً شاذاً عن توراتهم التى جاءَهم بها

«موسى» ـ عليه السلام ـ وبَدلوا وغَيروا. . . ، فكان من مهمة « عيسى » ـ عليه السلام ـ أَنْ يَرُدَّهم إلى حقائقها، ويَنْهاهُم عن مخالفتها، وبْشّرهم بنبيّ يأْتي من بَعْده. . بشريعة مُتكاملةٍ، هو خاتم الأنبياء ، وهى خاتمة الشرائع. . !

ومعنى كلمة «الإنجيل»: البِشارة. . ! وهى كلمة يونانية اللفظ.

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الصف: ٦].

ولكن هل لكلمةِ « أَحْمد » وُجودٌ في الأناجيل، أَوْ ذِكَر أو إشارة؟

● فقط في(إنجيل برنابا) الذى مَزقَته الكنيسة. . . ! فقد جاء صريحاً. . !

أما فى باقي الأناجيل؛ فكان التَّلْميحُ، فقد كان «عيسى» ـ عليه السلام ـ يعبِّر عن المبشّر بهِ بلفظ «النبىّ» تارةَ، وبلفظ «مسِّيا» تارة أخُرى ، وبلفظ «فارقليط» تارة ثالثة ،وهذا اللفظ تَقْريب لكلمة «بيريكلتوس» اليونانية، ومعناها: الذى لهُ حَمْد كثير. . .

والْتَفْ حـــوْل «عيسى» ـ عليه السـلام ـ مجموعةٌ من التلاميذ، وكانوا اثْنَتَى عشرة، يتلقُون عَنْه ، ويحفظون ويتعلمون ، وهم الذين عَبَّر عنهم القرآن الكريم بلفْظ «الحواريين».

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ [الصف: ١٤].

وكان لابُدَّ لـ «عيسى» ـ عليه السلام ـ من معجزاتٍ تُؤيِّدُه في دَعْوتِه، وتدحَض المخالفين وتكبتُهم . . ، وتثبت المؤْمنين.

﴿ ورَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[آل عمران: ٤٩].

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة:١١٠].

وطلب إليه تلاميذه (الحواريون) يَوْماً أن يَدْعُو ربَّه ينزل عليهم مائدةً منَ السَّماء، حافلة بألَوان الطعام والشَّراب. . .ليزدادوا به إيماناً وتعلُّقاً، واتِّباعاً. . .، وتكَون لهم عيداً : ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١١٢) قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (١١٣) قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١٤) قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [المائدة: ١١٢ ـ ١١٥].

اشتد عداءُ الكهنة لـ «عيسى » ـ عليه السلام ـ بعد أن جادلَهم وأَفْحَمَهُم وتبين انحرافهم عن شريعة الله، كما أَنَّهَ كثُر أَتْباعُه والمؤمنون بِهِ، فَأَضمر هؤلاءِ الكهنة المكْر له وتدبير حيلةٍ بقَتْلِهِ والخلاص منه.

وكان هؤلاء يعتقدون بأن «مسيحهم» المنتظر لم يأتِ بعد، وإنما هذا دَعِيٌّ كذّاب . . . !

وحَمَلُوا افتراءَهم وشكواهم إلى «بيلاطُس» ـ القائد الرومانى ـ وادعوا عنده بأن «ابن مريم » يقول بأنَّه ملك اليهود، وهم لا يروْن ملكاً عليهم سوى «قيصر» ملك «روميه». . !

إذاً. . . هناك مؤامرة بقَلْب نظام الحكم، وثَوْرة يُدبِّر لها «عيسى ابن مريْم » ، فلا بُدَّ من إلقاء القبض عليه ، ومحاكَمتِهِ، وقتْله . . . !

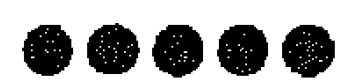
وأرْسَلَ الوالي«بيلاطُس» فِرْقَةً من الجُنْد للإمساك بـ «عيسى » وسَوْقِهِ إليه.

أما قائد الفرقة هذه فلم يكُن يَعْلَمُ أو يعرف «عيسى » شَخْصيا. . ، فلا بُدَّ من رجُل يدله عليه. . . وتواطأ الكهنة مع أَحَدِ التلامذة، ويُدْعى «يَهُوذا الإسْخريوطي»أن يَدُلَّ على«عيسى » بتقبيله عند لقائِهِ . . . ،وكان الثَّمن. . . ـ ثمن الخيانة ـ دراهم معدودة. . .قيل أنها خمسة دراهم من الفضة.

فلما جاؤوا إلى «عيسى » ـ عليه السلام ـ أَلْقى الله ـ تعالى ـ شَبَهَهُ عَلى «يَهُوذا» الخائنِ. . . ، فَسيق بَدَلاً منه ظانين أنه عيسى فصلبوه ووضعوا الشوك على رأسه إهانة له ورفع الله عز وجل «عيسى » ـ عليه السلام ـ إليه. بعدما توفاه بالنوم وخلصَّهُ من أذى اليهود وعدوانهم.

قال الله تعالى: ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين (٥٤) إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون ﴾

[آل عمران: ٥٤، ٥٥].



• المراجـــع •

١ - القرآن الكريم.

٢ - السُّنَّة الشريفة.

٣ - قصص الأنبياء (ابن كثير).

٤ - قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجَّار.

٥ - البداية والنهاية.

٦ - تاريخ الطبري.

٧ - تَفْسير ابن كثير.

٨ - تفسير الطبري.

٩ - تفسير المنار.

١٠ - تفسير الظلال.

١١ - زاد المسير (ابن الجوزي).

●●●●●

• الفهـرست •

●●●●●●●

●●●●

●

من إصدارات دار الإبداع

قصص القرآن

(١) نبأ إبنى آدم قابيل وهابيل.
(٢) موسى والعبد الصالح.
(٣) أصحاب الكهف.
(٤) أصحاب الأخدود.
(٥) أصحاب الفيل.
(٦) صاحب الجنتين.
(٧) قارون.
(٨) بقرة بنى إسرائيل.
(٩) عُزَيْر
(١٠) هاروت وماروت
(١١) لقمان الحكيم.
(١٢) طالوت وجالوت.
(١٣) ذو القلبين.
(١٤) الثلاثة الذين خلفوا
(١٥) مسجد الضرار.
(١٦) ذو القرنين.
(١٧) الرؤيا بالحق.
(١٨) زيدٌ وزينب.
(١٩) المجادلة.
(٢٠) أصحاب الجنة



أجمل هدية

زادُ المسْلم

سلسلة كتيبات جيب فاخرة

مسلفن بالألوان تحتوى على ثقافة مبسطة

موثقة محققة مخرجة الآيات

إعداد وتأليف/ أحمد خالد شكرى

دار الإبداع

٤ شارع الأسقفية - المنشية بجوار هانو الأسكندرية ج.م.ع

تليفاكس: ٤٨٧٩٠٦٥ محمول: ٠١٢٣٦٦١١٨

ahmadkhaled300@hotmail.com

أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام للناشئة

● يقول الله عز وجل: ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ [النساء: ١٦٥]

● ويقول الله عز وجل: ﴿وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠]

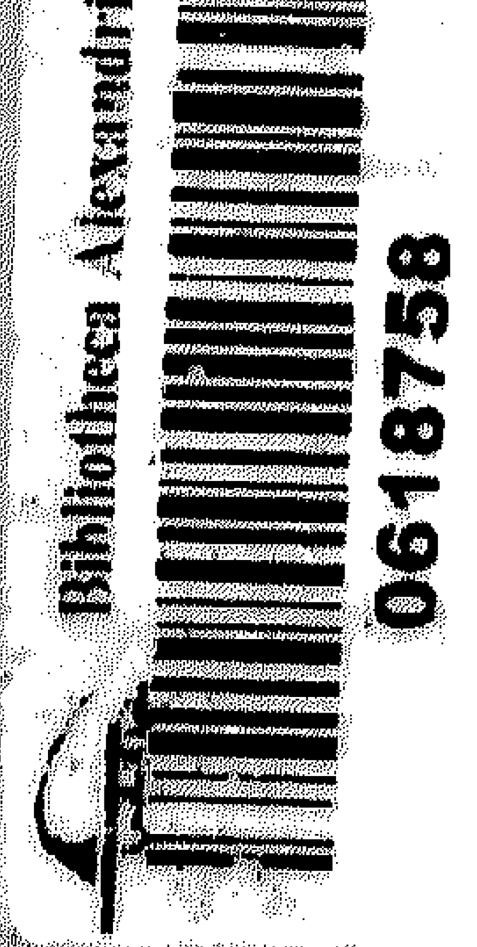
● ويقول الله عز وجل: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [الكهف: ٥٦]

مبشرين للمؤمنين. ومنذرين للعصاة والطغاة.

أدم عليه السلام
ادريس عليه السلام
نوح عليه السلام
هود عليه السلام
صالح عليه السلام
ابراهيم عليه السلام
لوط عليه السلام
اسماعيل عليه السلام
اسحاق عليه السلام
يعقوب عليه السلام
يوسف عليه السلام
شعيب عليه السلام

ايوب عليه السلام
اليباس عليه السلام
أليسع عليه السلام
ذو الكفل عليه السلام
يونس عليه السلام
موسي عليه السلام
هارون عليه السلام
داوود عليه السلام
سليمان عليه السلام
زكريا عليه السلام
يحيي عليه
عيسي عليه

محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم



Bibliotheca Alexandrina
0618758

دار الإبداع
٤ شارع الأسقفية - المنشية الأسكندرية
تليفاكس: ٠٣/٤٨٧٩٠٦٥ - محمول: ٠١٢/٣١٦٦١١٨